الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة 8 ماي 1945- قالمة-

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم الفلسفــة **تخصص: فلسفة تطبيقية**

التحدي والإستجابة عند أرنولد توينبي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستـــــر في الفلسفة

إعداد الطالبتين:

- آسيا بوزيدي
- صابرة خير الدين

تحت إشراف الأستاذ:

- عبد الحميد العالم

لجنـة المناقشــة

الحاج علي كمال	أستاذ محاضر- أ-	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
العالم عبد الحميد	أستاذ محاضر- أ-	مشرفا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كحول سعودي	أستاذ محاضر- أ-	مناقشا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

قال الله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولاتكفروني﴾

نحمد الله تعالى الذي أعاننا وسدد خطانا ووفقنا بإذنه لإتمام هذه المذكرة.

وعملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم:﴿من لم يشكر الناس لم يشكر الله﴾.

أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذنا الفاضل"عبد الحميد العالم"الذي تقبل إشرافنا على المذكرة.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أختي العزيزة سعيدة التي ساعدتني كثيرا بالعديد من الإرشادات

دون أن أستاذنا السابق "صالح حميدات" الذي ساعدنا ولم يبخل علينا بالنصائح.

كما نتقدم أيضا في هذا المقام بخالص الشكر والتقدير إلى أعضاء اللجنة الموقرة لموافقتهم على مناقشة وإطراء هذا العمل.

وكل من كان لنا عونا ونبراسا في طريق البحث

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى الذي نفسي بيده،وهدايتي على يده سبحانه وتعالى نحمده ونشكره.

إلى من جرع الكأس فارغا ليسقياني قطرة حب،إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهدان لي الطريق إلى

من قال فيهما عزوجل:{وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا}

أمي وأبي

إلى من لاتكفي لها الكلمات لها لأعبر عن مدى حبي لها وإمتناني لها إلى من لاتستطيع السطور التعبير عما بداخلي.

إلى التي جعل الله الجنة تحت أقدامها، إلى التي إحترقت من تعب الحياة لتنير دربي،إلى التي جاعت لأشبع وسهرت لأنام،بإختصار إلى من ضاقت كل أنواع الحرمان لتوصلني إلى أسمى الدرجات،إلى التي ترعرعت على عرش قلبي.

إليك أقولها أمي الغالية أطال الله عمرك.

إلى الذي أنار دربي،إلى الذي على يده تعلمت معنى الصبر والتسامح والطيبة،إلى من تحمل إلى من تصبب عرقا لأجلنا وتحمل حرا لشمس وبرد الشتاء لأعتلي سلالم النجاح.

إليك أبي يا أغلى وأعز الناس على قلبي أطال الله عمرك.

إلى من قاسموني أفراحي وأحزاني إلى القلوب الرقيقة والنفوس البريئة إخوتي وأخواتي:فطيمة وزوجها مراد ،حكيم،سعيدة وزوجها عصام،نوري، صلاح دون أن أنسى الكتاكيت الصغارأبناء إخوتي:قيس

أسأل الله أن يجعل له سببا للشفاء، هبة الرحمان،إياد.

إلى التي جمعتني بها سنين الدراسة زميلتي صابرة حفظها الله وسدد خطاها.

إلى جميع أساتذتي بقسم الفلسفة جامعة قالمة .

إلى كل من وسعهم قلبي ولم تسعهم ورقتي وحملتهم ذاكرتي ولم تحملهم مذكرتي.

آسيـــا

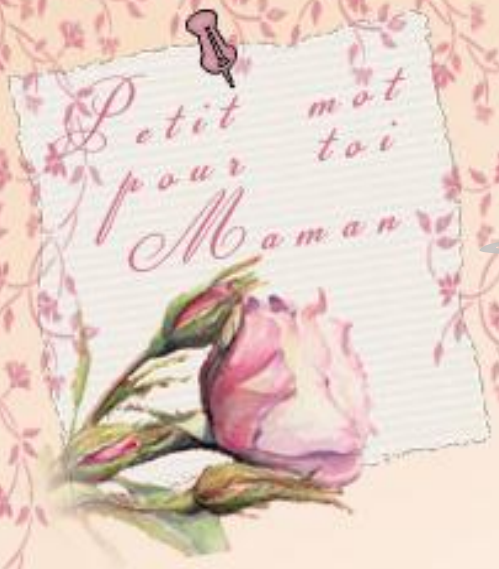

إهداء

إلى روح أمي الخالدة.

إلى أبي صالح حفظه الله.

إلى جميع إخوتي عمار، منيرة، مفيدة، عليمة، محمد

إلى زوجي الغالي عموشي هارون الذي كان لي سند الأب والأخ والصديق

حفظه الله لي وأطال في عمره.

إلى عائلة زوجي ماما مباركة وأبي عمر.

صابـرة

مقدمـــة

مقدمة:

يعد القرن السابع عشر قرن إزدهار التاريخ في أوربا، حيث تعددت الدراسات التاريخية في هذا القرن وامتدت إلى غاية دراسة الحضارات باعتبار أن الحضارة هي الوحدة الحقيقية لدراسة التاريخ ،فارتباط الحضارة بالتاريخ موضوع لم يهمله فلاسفة التاريخ إذ تحدثوا عنه، بل إن البعض من عرف به إلى درجة ما إن يذكر الواحد منهما إلا ويخطر الآخر على البال، وقد استنبط موضوع الحضارات من مادة تاريخية غنية ،باعتباره يندرج ضمن فلسفة التاريخ. وفي هذا الإطار فقد عكف العديد من الباحثين والمؤرخين إلى دراسة موضوع الحضارات قديما وحديثا، والبحث في عوامل نشوءها وتطورها والأسباب التي أدت إلى انهيارها.

ولما كان موضوع الحضارة محط أنظارا لعديد من الباحثين من اتجاهات فكرية متعددة، فقد اختلف الكثيرون في مفهومها وعوامل نشوءها وتطورها ،وفي سياق اختلاف فلاسفة التاريخ على العوامل المفسرة لنشوء الحضارات فقد تمخضت في ظل هذه الاختلافات ظهور نظريات متعددة نذكر منها: نظرية البيئة ،نظرية الجنس ...الخ.

إلا أن هذه النظريات وجدت العديد من الاعتراضات وقد تعرضت إلى كثير من الانتقادات من طرف بعض فلاسفة التاريخ ،الذين اعتبروا أن هذه النظريات غير كافية. ومن بين هؤلاء المؤرخين نجد الفيلسوف الإنجليزي أرنولد توينبي ،الذي حاول تقديم نظرية جديدة اعتبرها إحدى أهم النظريات الكافية والمفسرة لنشوء الحضارات وزوالها ألا وهي نظرية التحدي والاستجابة ومن هذه النظرية يندرج موضوع بحثنا. والذي كان له أهمية كبيرة حيث تكمن هذه الدراسة في ضوء نظرية التحدي والاستجابة أنها نمط جديد من الدراسات التاريخية التي تركز على دراسة أوضاع المجتمع ودراسة عوامل النهضة والانحطاط .وهناك دراسات سابقة قد تناولت هذه النظرية وبهذا الصدد نجد العديد من الفلاسفة الذين تطرقوا للحديث عن نظرية التحدي والاستجابة ونجد الفيلسوف وند ودريد في كتابه استشهاد انسان لكن الفرق بينه وبين توينبي أن توينبي وظفها في دراسة نشأة الحضارات، كما يحاول بحثنا الكشف عن عوامل الصعود والهبوط التي أدت إلى التطور الحضاري بالأمة العربية وتحليلها من خلال نظرية التحدي والاستجابة .وكما يحاول بحثنا هذا الكشف عن عوامل الصعود والهبوط التي أدت إلى التطور الحضاري في الأمة وتحليلها من خلال نظرية التحدي والاستجابة التي بين فيها أن المجتمعات البدائية والحضارية واجهت تحديات بيئية وجغرافية حيث كانت الاستجابة في تلك المجتمعات ومنها العربية مواجهة التحدي والاصرار على الإبداع، ولأن موضوع نظرية التحدي والاستجابة موضوع مهم فقد كانت لدينا العديد من الدوافع الأساسية التي دفعتنا إلى اختيار الموضوع وخوض غماره منه ما هو ذاتي ومنه ما هو موضوعي أما عن الدوافع الموضوعية وقد وقع اختيارنا لهذا الموضوع لأهميته وقيمته التاريخية والفلسفية إضافة إلى قوة طرحه في فلسفة الحضارة مما جعلنا

نندفع لإختيار هذا الموضوع الجدير بالدراسة لاسيما لما له أثر في قيام الحضارات وانهيارها، إضافة إلى تزويد المكتبة الجامعية وإثراءها بهذه الدراسة. أما عن الدوافع الذاتية ميلنا إلى دراسة مثل هذه الموضوعات المرتبطة بدراسة التاريخ وخاصة ميولنا بصفة خاصة إلى فلسفة التاريخ.

وعلى هذا الأساس كانت مذكرتنا تتمحور حول إشكالية يمكن صياغتها في تساؤل يندرج تحته عدة تساؤلات ومشكلة الموضوع كالآتي:

كيف نظر توينبي لهذه النظرية؟ وما مدى تطبيقها على أرض الواقع؟

ولمعالجة هذا الموضوع بدقة قد تطرقنا إلى إشكاليات جزئية:ما هي أهم التيارات الفكرية التي أثرت على توينبي وصاغت فكره؟ وماهو المفهوم الذي قدمه أرنولد توينبي لنظرية التحدي والاستجابة؟ وماهي أنواع التحديات والاستجابات؟ وفيما تكمن أهمية الجوانب النقدية والإيجابية من النظرية؟ وما مفهوم الحضارة عنده؟ وماهي مرحل نمو الحضارات وارتقاؤها؟ وماهي أسباب انهيارها وانحلالها؟ وماهي أهم الاقتراحات التي قدمها أرنولد توينبي لإنقاذ الحضارات؟.

ولشرح هذا الموضوع أكثر قد اعتمدنا على عدد من المصادر لأرنولدتوينبي وكذلك على عدة مراجع ودراسات سابقة بالإضافة إلى المعاجم والموسوعات والمجلات ولعل أهم مصدر إعتمدنا عليه بصفة أكبر هو مختصر دراسة التاريخ لأرنولد توينبي بأجزاءه الأربعة ،الذي كتبه توينبي وقد تمت ترجمت هذا الكتاب من قبل فؤاد محمد شبل، إضافة إلى كتاب تاريخ البشرية نقله للعربية الدكتور نقولا زيادة وغيرهم من الكتب التي تندرج في سلسلة كتبه المتعلقة بالتاريخ والحضارة، وهناك بعض المصادر الأخرى والمراجع التي سنجدها في قائمة المصادر والمراجع.

أما بالنسبة للمنهج فقد اعتمدنا على المنهج التحليلي التاريخي حيث اعتمدنا في الفصل الأول على المنهج التاريخي في استعراضنا الجذور التاريخية لهذه النظرية،أما الفصلين الأخيرين–الثاني والثالث–فقد اعتمدنا على المنهج التحليلي من خلال تحليل الأفكار والمعلومات ومقارنتها ببعضها البعض وقد ساعدنا بصفة خاصة في دراسة عوامل ارتقاء الحضارات وانحطاطها،ومن أجل تطبيق هذا المنهج اعتمدنا على خطة تتضمن:

مقدمة مهدنا فيها للموضوع وطرحنا الإشكالية التي تناولناها بالبحث.وتحدثنا عن أسباب وأهداف تناولنا الموضوع وقمنا بذكر اهم المصادر والمراجع التي تناولناها وحددنا المنهج الذي اعتمدنا عليه وأخيرا خاتمة التي عرضنا فيها جملة النتائج والإستنتاجات التي أفضت إليها المعالجة.

الفصل الأول: الذي جاء بعنوان التيارات الفكرية التي أثرت على توينبي وصاغت فكره"ويندرج هذا الفصل تحت ثلاث مباحث، جاء المبحث الأول تحت عنوان تفسير أوغسطين لمسار التاريخ،أما المبحث الثاني فقد تطرقنا فيه إلى نظرة ابن خلدون في الدولة.أما فيما يخص المبحث الثالث فقد أستهدف موقف شبنغلرالمتشاءم من الحضارة الغربية.

الفصل الثاني: يندرج هذا الفصل تحت عنوان "نظرية التحدي والاستجابة عند أرنو لد توينبي"،حيث عرجنا في المبحث الأول إلى مفهوم هذه النظرية وما المقصود من لفظي كل من "التحدي" و" الاستجابة" أما المبحث الثاني فقد شمل أنواع التحديات وأنواع الاستجابات،وصولا إلى المبحث الثالث الذي عالجنا فيه كل من الجانب الإيجابي والجانب السلبي من النظرية.

الفصل الثالث والأخير: والذي كان تحت عنوان " مسيرة الحضارة بين التكون و الانحلال"، حيث تم تسليط الضوء على الحضارة بصفة عامة وفق نظرية التحدي والاستجابة وقد تناولنا أربعة مباحث المبحث الأول أردنا إعطاء مفهوم الحضارة من الناحية اللغوية والاصطلاحية ،ثم تناولنا مفهوم الحضارة من وجهة أرنو لد توينبي أما المبحث الثاني يتحدث عن ميلاد الحضارات وارتقاؤها وفي المبحث الثالث خصصناه للعوامل التي أدت إلى انهيار الحضارات وانحلالها اما المبحث الرابع كان بعنوان مقترحات توينبي لإنقاذ الحضارات.

أما عن الصعوبات التي اعترضتنا أثناء إعدادنا للبحث صعوبة في تحميل المراجع والمصادر إضافة إلى صعوبة التواصل في ظل جائحة كورونا.

الفصـــل الأول

التيارات الفكرية التي أثرت على توينبي وصاغت فكره

مدخل:

يموت العظماء فلا يندثر منهم إلا العنصر الترابي أما أعمالهم فتبقى خالدة على مر العصور وأرنو لد توينبي* من بين هؤلاء الذين تركوا بصماتهم في سجل التاريخ ويعود جزء كبير من الفضل في ترك توينبي لتلك البصمات في التاريخ لتأثره بالعديد من الشخصيات الفكرية التي ساهمت في بناء فكره والتي أثرت عليه، فإذا ما استطعنا معرفة الإرهاصات الأولى في تكوينه المعرفي بالإضافة إلى التيارات الفكرية المتمثلة في لمؤرخين الذين تأثر بهم نكون قد وضعنا يدنا على الأسس التي استند إليها في تحليله لطبيعة الحضارات والتي صاغت فكره.

ومن خلال هذا الطرح نتوصل إلى طرح التساؤل التالي والذي مفاده كالآتي: ما هي أهم الروافد أو التيارات الفكرية التي أثرت على توينبي وساهمت في بناء فكره؟.

* **أرنو لد توينبي**: مؤرخ انجليزي اسمه الكامل جوزيف أرنو لد توينبي ولد في لندن في 14 أفريل 1889 ودرس اليونانية واللاتينية في أكسفورد وتقلب في عدة مناصب منها أستاذ الدراسات اليونانية والبيزنطية في جامعة لندن ومدير دائرة الدراسات في وزارة الخارجية البريطانية. توفي عام 1975.يعتبر توينبي أحدث وأهم مؤرخ بحث في مسألة الحضارات (علاء الدين الأعرجي، أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي بين العقل الفاعل والعقل المنفعل، مطبوعات لندن ، ط 5، 2015، ص 83).درس الحضارات القديمة لمعرفة أسباب تدهورها وانقراضها، فكان أن وضع كتابه " دراسة التاريخ " الذي أخذ منه معظم سنين عمره واحد وأربعين عاما (إسماعيل محمد الزيود، إرهاصات النهضة في المجتمع العربي، دراسة سوسيولوجية في ضوء نظرية التحدي والاستجابة ، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص3).

المبحث الأول: تفسير أوغسطين لمسار التاريخ

لقد التقى كل من توينبي و"القديس أوغسطين" في العديد من النقاط والأحداث التاريخية وقد كانت هذه النقاط أو العناصر بمثابة بوادر ومؤشرات ساعدت توينبي وكانت لها الفضل في صياغة فكره.[1]

فما هي إذا هذه النقاط التي التقى حولها كل من توينبي والقديس أوغسطين ؟.

يمكننا أن نلخص النقاط التي التقى حولها كل من توينبي والقديس أوغسطين (354-430) في نقاط رئيسية ثلاث هي:

أولا: دور العناية الإلهية في التاريخ

لقد شغل التاريخ بوصفه علم له مكانة كبيرة في فكر أوغسطين إذ تصور أن ثمة علاقة نفعية تبادلية بينه وبين العقيدة المسيحية، ويرى أوغسطين أنه يمكن توظيف التاريخ بعدة طرق لإبراز قيمة مسيحية والدفاع عنها أي أنه وظف التاريخ من أجل إثبات الحدث الديني العقائدي، فالعقيدة وحدها التي تخبرنا بأن العالم بدأ بالخلق وبأنه سينتهي باليوم الأخير هي التي تقدم لنا تفسير التاريخ وبلورة هذا التفسير عند أوغسطين يظنه الباحثين فلسفة التاريخ ويعده البعض الآخر لاهوت التاريخ.[2]

لقد تعددت النظريات التي تفسر مسار التاريخ خلال العصور بدءا من نظرية سان أوغسطين أول من حاول تفسير التاريخ في ضوء العناية الإلهية والتي اقتصرها على الدين المسحي وبالتحديد على المذهب الكاثوليكي.[3]

***أوغسطين**: القديس أوغسطين لاهوتي وفيلسوف مسيحي وأحد كبار أباء الكنيسة الكاثوليكية ولد في 13 نوفمبر 354 في تاغشت من أب وثني باطرتقيوس وأم مسيحية مونيكا " أنس منصور، **خالدون مائة**، المكتب المصري الحديث للنشر الالكتروني المجاني، د ط، د س، ص215"كان أوغسطين متشبع بالأدب اللاتيني فلم تعجبه لاتينية الكتاب وكان متعلقا بالدنيا ومتاعها فلم تهزه مبادئه .

[1] يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط**، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، د ط، 2012، ص25.

[2] محمود زينب الخضري، **لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين**، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1997، ص 58.

[3] أحمد محمود صبحي، صفاء عبد السلام جعفر، **فلسفة الحضارة اليونانية الإسلامية الغربية**، دار النهضة العربية، بيروت، 1999، ص1.

إن مدلول نظرية العناية الإلهية خاصة عند أولئك الذين يؤمنون بها ومنهم أوغسطين "تنظر إلى التاريخ على أنه مسرحية ألفها الله ويمثلها الإنسان أو بعبارة أوضح إن وقائع التاريخ تخضع للمشيئة الإلهية، ومنه فهذه النظرية تنكر أي دور لفكرة المصادفة لأنها لا تعني إلا الفوضى أو العبث"[1]

وبهذا يعتبر القديس أوغسطين من مؤسسي علم اللاهوت وذلك من خلال مؤلفاته اللاهوتية العديدة والتي حاول من خلالها فلسفة الديانة المسيحية عبر توليفة جمعت ما بين النزعة الصوفية من جهة والنزعة الفلسفية من جهة أخرى.

كما أنه سعى إلى وضع تاريخ عام للحضارة الإنسانية من خلال نظرة شاملة لتاريخ البشرية بناءا على ما استقاه من العقيدة المسيحية، فقد تصور تاريخيا أن الكون يبدأ بالخلق وينتهي بالدينونة (القيامة)، وهكذا رأى أوغسطين أيضا أن كل الفلسفات السابقة على ظهور المسيح كانت عرضة لخطأ واحد أساسي لأنها قد جعلت من العقل أسمى قوة في الإنسان، ولكن الإنسان يجهل أن العقل من أشد الأشياء التي يدور حولها التساؤل والغموض إلى أن جاء الوحي الإلهي فكشف للإنسان عن هذه الحقيقة من خلال المسيحية أو يمكننا القول من خلال الوحي المسيحي.[2]

إذا ومع القديس أوغسطين أضحى موضوع التاريخ هو تاريخ الإنسانية بشكل عام، وذلك من خلال نظرته الشاملة التي وحدت التواريخ الجزئية، تاريخ شعب، أمة، إمبراطورية إلى تاريخ البشرية جمعاء وهذه الفكرة امتدت إلى منهج توينبي التاريخي الذي اعتبر التاريخ الحقيقي هو تاريخ البشرية كلها وليس تاريخ أمة بعينها. فقد جعل توينبي من الحضارة الوحدة الحقيقية لدراسة التاريخ، وعدها بمثابة حجر الأساس في منهجه التاريخي، ذلك بعد أن انتقد المؤرخين الذين اتخذوا من الأمم والدول القومية نقطة البدء في الدراسة التاريخية. وينتهي به القول بخصوص هذه المسألة إن المجالات الواضحة للدراسة التاريخية التي وضعنا حدودها تقريبا بأعمال المظاهر الخارجية والاتجاهات العكسية من وجهة نظر وطننا في وقتنا الحاضر هي مجتمعات لها امتداد أوسع في المكان والزمان من الدول القومية أو الدول المدنية، أو أي جماعات سياسية أخرى.

[1]- مصطفى النشار، **فلسفة التاريخ**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2012، ص 168.

[2]- كاسيرر أرنست، **فلسفة الحضارة الإنسانية**، ت إحسان عباس، دار الأندلس، بيروت، 1961، ص ص 43/42.

إذا لقد اعتبر توينبي أن وحدة الدراسة التاريخية لا تستند على فكرة القومية أو على فكرة سياسية بل إنها دراسة لمجموعة معينة من البشر يطلق عليها اسم المجتمع، والدولة القومية هي الجزء من الكل الذي هو المجتمع.ولا يمكن فهم الجزء إلا بدراسة الكل في أطول سياق تاريخي ممكن.

ثانيا:غاية التاريخ

لقد حددت المسيحية الغاية من التاريخ الذي يبدأ بالخلق وينتهي بالدينونة، وهذه الغاية تتمثل في أن غاية الإنسان (الذي هو موضوع التاريخ) تكمن فيما وراء الدينونة مع التأكيد أن الله يحيط بكل شيء علما وأنه الخالق والمدبر للكون، كما أن وقائع التاريخ تخضع للمشيئة الإلهية.لا بل إنها هي التي شكلت تلك الوقائع على ما هي عليه، وقد نظر المفكرون المسيحيون ومنهم أوغسطين إلى البشر على أنهم بشر يحبون ثم يزولون من أجل غاية باقية لا تزول. ويقول القديس أوغسطين:" تعس الإنسان الذي يعرف كل ما في السماوات والأرض ولا يعرفك أنت، وسعيد من يعرفك وإن كان لا يعرف هذه الأشياء"[1]. إذا نحن أمام نظرية العناية الإلهية التي لولاها لما استطاع الإنسان تدبير أموره على الأرض، ولما استطاع التمييز بين الخير والشر. وبذلك تكون المعرفة الحقة هي معرفة الله .

إن التاريخ بوصفه علما شغل تفكير أوغسطين، ولهذا فهو يحلل لنا هذه المسألة من خلال أن الرجل بوصفه رجل دين هدفه الدفاع عن العقيدة وتقديم مختلف الأمثلة التاريخية، وهذا بالضرورة من أجل إثباتها. من منطلق هذا وظف التاريخ من أجل إثبات الحدث الديني العقائدي ونذكر هنا مثال وهو لو أردنا التمييز بين المسيحية والوثنية فهذه الأخيرة دعامتها الأسطورة في حين الأولى دعامتها التاريخ. وبهذا نستطيع أن نفهم المسيحية وذلك من خلال توظيفها للتاريخ أو بالأحرى اعتمادها على التاريخ، لأن الاعتماد على التاريخ يساعدنا في فهم مختلف المسائل المسيحية على العكس من الوثنية التي لم تعتمد على التاريخ، وفي هذا صعوبة الفهم .[2]

إن التاريخ حسب أوغسطين يمضي بمشيئة إلهية، وتنظم هذه المشيئة الأحداث كلها، والإنسان عنصر فيها مهمته إقرار هذه المشيئة. وهنا يلتقي أوغسطين مع أرنو لد توينبي في تصور كل منهما للغاية من التاريخ، حيث نجد أن وقائع التاريخ عند كل منهما تخضع للتدبير الإلهي، فالتاريخ بالنسبة

[1] – سان أوغسطين، **اعترافات القديس أوغس**طين، ترجمة فرمان اليرموس، مطبعة النهضة، القاهرة،1995، ص76.

[2] – علي عبود وآخرون، **فلسفة التاريخ: جدل البداية والنهاية والعود الدائم**، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان،ط1، 2012، ص88.

لأوغسطين بدون التدخل الإلهي لن يكون إلا كومة مضطربة متراكمة من العصور التي تجمعت دون بداية معقولة. وبهذا فأوغسطين يرى:" أن التاريخ يدور حول كل من المؤقت والأبدي، فالله أبدي وهو خالق الزمن ولا يجوز فهم الأبدي ولا وصفه من وجهة نظر المؤقت، فالله موجود وجال في الزمان كله مثلما هو أبدي والزمن وإن لم يمكن فهمه بمفاهيم الذهن فمن المقطوع به أنه مما يمارسه الإنسان" [1]. فالإنسان حسبه جاء من الله وبنعمته وسوف يعود إليه.

كما أن:"التاريخ عند توينبي هو إنجاز للخطة الإلهية وهو إبداع الله في حركته، من الله منبعه وإلى الله غايته. ولذلك فقد نظر توينبي إلى تاريخ المدنيات لا في حدود مصائرها فقط ولكن في حدود دورها في الدين"[2]. أي أن التاريخ عند توينبي منبعه من الله وغايته إلى الله.

غير أن توينبي لم يقتصر في نظريته على إبراز دور العناية الإلهية فقط في التاريخ بل رأى أن هناك إمكانية للتلاقي بين العناية الإلهية والعقل الإنساني، فالتاريخ إجمالا:" هو تفاعل بين الله والإنسان وهو إنجاز للخطة الإلهية. ولكن مايتاح للفرد في حدود هذه الخطة هو حرية الإرادة، فالله يخلق التاريخ من خلال الناس، وذلك يمكننا في رأي توينبي من أن تكون لدينا فكرة عن الخطة الإلهية من خلال أفعال الناس".[3]

وإذا ذهبنا إلى هذا التصور فإنه ليس للحياة الإنسانية استمرارية فلسنا مخلدين على هذه الأرض بل وأن مستقبل الجنس البشري ليس هنا، كما أن كل التيارات الروحية تكاد تتفق على أن للزمان بداية ونهاية وليس الزمان أزليا، وأن هذه البداية والنهاية للزمان هي في الوقت نفسه هي بداية ونهاية الإنسانية كل حسب مشيئة الله[4] أي أن الإنسان يجب أن يؤمن بأن العالم زائل، ولذلك يجب أن يؤمن بفكرة الحياة والموت، كما أن إيمانه هذا هو أيضا إيمان بأن التاريخ البشري له بداية ونهاية وأن المتحكم في هذا التاريخ هي إرادة الله وهذا ما عناه أوغسطين "ووافقه في ذلك توينبي" وهو التأكيد على دور الإرادة الإلهية وتدخلها في تحديد مسار التاريخ البشري.

---

[1]-رأفت الشيخ، **تفسير مسار التاريخ: نظريات في فلسفة التاريخ**، عين الدرابات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم،دط، 2000، ص 38.

[2]-هناء غانم، **فلسفة الحضارة**، مطبعة ابن خلدون، دمشق، 1982، ص 110.

[3] -جمعة علم الدين اليقين، **فلسفة التاريخ عند أرنو لد توينبي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991، ص ص 163، 164.

[4]- عبد الرحمن بدوي، **الزمان الوجودي**، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1973، ص ص 99- 100.

ثالثا: المثل الأعلى للدولة

وفي هذه الفكرة نجد لآراء أوغسطين امتدادا واضحا في فكرة توينبي فأوغسطين يقسم المدينة العالمية إلى مدينتين: مدينة الأرض ومدينة السماء (أو مدينة الله) وهذه الأخيرة يحكمها خالق واحد هو الله يقول في كتابه مدينة الله قائلا:" من هو ذاك الإله؟ إنه ذاك الذي خلق السماء".[1]

وتشمل مدينة الأرض معظم الإنسانية إلى أن بلغت ذروتها أيام الرومان،ومع انفصالها عن المدينة السماوية بدأ التمهيد لظهور السيد المسيح، ولكل مدينة أعضاؤها من الجماعة الإنسانية وتشكل مدينة الأرض (اللاصلاح) الذي يسود العالم وتمثل مملكة (الصالحين) والدولة تعتبر هنا بمثابة حلقة وصل بين المدينتين (الصلاح النسبي) ويجب لذلك أن تكون متصفة بالسلام كي تقترب من فهم سلام الله.[2]

ويتشابه هذا الرأي مع توينبي الذي يعتقد أن مستقبل المدنية الغربية مرهون باتخاذ المدنية الغربية لنفسها في المستقبل المنظور صورة الدولة العالمية المؤسسة على السلام العالمي، والتي تضم كافة المدنيات في مدينة واحدة لأنها بذلك ستتغلب على الصعوبات التي تواجهها.

ولقد رأى أوغسطين أيضا أن مثل هذه الدولة يمكن أن تكون دينية وتسيطر عليها الكنيسة لتمكنها من تحقيق أغراضها. ويتفق توينبي مع هذا الرأي بخصوص الدولة العالمية حيث أنهما يحبذان أن يحكمها رجال الدين المسيحي العالمي ويرأسها البابا راعي الكنيسة.

إذا مسار التاريخ كما صوره توينبي متأثر إلى حد بعيد بتصور أوغسطين، وهذا التصور الديني لمسار التاريخ عند كليهما جعل بعض المفكرين يرون أن توينبي قد وحد بين علم التاريخ وعلم اللاهوت كما فعل من قبل أوغسطين.

لكن توينبي لم يقف عند هذا التصور بل رأى أن للحضارات حركة شاملة مركبة متقدمة إلى الأمام وهي في الوقت نفسه حصيلة حركات دورية جزئية.

[1]- سان أوغسطين، **مدينة الله**، الخور أسقف يوحنا الخلو، مجلد 1، دار المشرق، بيروت،ط2، 2006، ص ص 481، 482.

[2]- جمعة علم الدين نيفين، **فلسفة التاريخ عند توينبي**،مرجع سبق ذكره، ص164.

أي أن توينبي قد جمع بين معنى التقدم في التاريخ من بداية ومعنى ونهاية وبين التكرار الدوري، وقدم تشبيها يعبر من خلاله عن هذه الحركة المركبة الشاملة للحضارات فقال:" إن الدواليب تدور فعلا على محاورها دورات متكررة متتابعة ولكن حركتها الدورية هذه هي التي تسير بالعجلة إلى الأمام"[1]

ولتوضيح هذه الفكرة بشكل أوسع نقول: لقد درج المفكرون والباحثون بقضية التغير الحضاري والتبدل التاريخي على تقسيم مسار حركة التاريخ إلى شكلين رئيسيين هما كالتالي:

- ❖ الشكل الأول:أخذ صورة الخط المتقدم إلى الأمام من البداية إلى النهاية، وهذه الصورة ورثناها عن الأديان الموحدة المؤمنة بسير البشرية بمسار متقدم من بدء الخليقة وإلى أن تقوم الساعة، بمعنى آخر إن التغيير الحضاري يسير في خط أساسي له بداية ومنطلق وغاية ونهاية، ويعتبر القديس أوغسطين أحد ممثلي هذه الاتجاه.
- ❖ الشكل الثاني: أخذ صورة التغير الدوري، وهي صورة دورية تمثل هذا التغير متخذا شكل دورة واحدة أو دورات متتابعة. ويعتبر ابن خلدون واحدا ممن يمثلون هذا الاتجاه أي اتجاه التعاقب الدوري للحضارات، ولكن ضمن إطار الدين الإسلامي بوجه عام.وهناك وجه أو شكل ثالث نتج عن الجمع بين الصورة الأولى التي تتبع خطا متجها إلى غاية، وبين الصورة الثانية التي تتمثل بالتكرار الدوري (أو التعاقب الدوري)، توينبي يتبنى الشكل الثالث حيث رأى أن للحضارة حركة شاملة متقدمة إلى الأمام وهي بالوقت نفسه حصيلة حركات دورية جزئية. ولتوينبي تشبيهات كثيرة حول هذه الحركة فيشبهها بحركة مكوك الحائك المستمر ذهابا وإيابا على وتيرة واحدة. وهي على الرغم من ذلك تنسج نسيجا ممتدا ويتسع تدريجيا:" وكذلك تنسج يد الأيام نسيج التاريخ من خلال الأحداث المتكررة تكرارا وباء مكاننا أن نجد لهذا المفهوم صورا أو تشابيه واستعارات أخرى، ولكن الجوهر هو نفسه أي مفهوم التطور الناتج عن التكرار الجامع بين مفهومي الحركة المتجهة إلى غاية (أمامية أو خلفية) والحركة الدائرة على ذاتها والعائدة إلى ما كانت عليه".[2]

[1] –هناء غانم، **فلسفة الحضارة**، مرجع سبق ذكره، ص 110.

[2] –المرجع نفسه، ص 111.

فنحن إذا أمام صورة مركبة ينظر من خلالها توينبي إلى التغير الحضاري والتبدل التاريخي، هذه الصورة قد جمعت ما بين التقدم المتجه إلى غاية كما يراه أوغسطين وبين التعاقب الدوري كما يراه ابن خلدون .وهذه الفكرة مهدت لنا مدى تأثر توينبي بمفكر تاريخي جديد ألا وهو العلامة إن خلدون.

فما هي النقاط التي استفاد منها توينبي من المفكر العربي ابن خلدون؟.

المبحث الثاني: نظرية الدولة عند ابن خلدون

يعد "ابن خلدون" من أهم المؤرخين وعلماء الاجتماع الذين اهتموا بدراسة تاريخ المجتمعات، حيث كان لفلسفة هذا الأخير دورا كبيرا في فهم توينبي للتاريخ وعلم الاجتماع الإنساني. ويعتبر ابن خلدون أول من دعا إلى ضرورة إنشاء علم الاجتماع الإنساني وظاهراته. وقد أشار توينبي في مؤلفاته إلى أنه قد استفاد من ابن خلدون وتأثر بفكره مبينا ذلك بصفة جلية في كتابه دراسة التاريخ حيث رأى أن ابن خلدون وضع فلسفة التاريخ وهي عمل أبدعه عقل عظيم في أي زمان ومكان. فقد اعتبر ابن خلدون التاريخ حقل تجارب ومجالا للتأمل والاعتبار، وحرص على إيضاح فوائده فقال:" أعلم أن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية". وإذا أردنا أن نلمس الخيوط الأساسية التي تأثر بها "توينبي" بالعلامة "ابن خلدون" يجب علينا أولا أن نتعرض بالتحديد لنظرية ابن خلدون في الدولة والتي سوف نتناولها في عناصر معينة وهي كالتالي:

أولا: أسباب نشوء الدولة

إن نظرية ابن خلدون في الدولة تندرج ضمن فلسفة التاريخ بشكل عام، وقد اعتبر ابن خلدون التاريخ فن من الفنون التي تتداولها الأمم والفن هنا يقصد به التقنية والمهنة والخيال والابداع الأدبي أي أن التاريخ عنده يرتقي إلى مستوى الفن حيث يقول في هذا الصدد:" أما بعد فإن فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأجيال والأمم وتشد إليها الرحاب والرجال وتسمو إلى معرفته السوقة والإقبال ويتساوى في فهمه العلماء والجهالة".[1]

وبهذا فقد استقى ابن خلدون نظريته في الدولة من خلال دراسته للتاريخ ومن خلال هذا نطرح التساؤل التالي والذي مفاده كالآتي:

ما هي أسباب نشوء الدولة عند ابن خلدون؟.

[1] –عبدالرحمان ابن خلدون ، **تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر**، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب العلمية ، بيروت،ط1، 1992، ص 04.

يرى ابن خلدون أن هناك سببين لنشوء الدولة هما:

1-حفظ أمن المجتمع: وذلك لكي يتمكن الناس من العيش والإنتاج وبالتالي الاستمرار في البقاء، فلكي يستمر الإنسان في بقاءه لابد له من أن يحصل قوته ولما كان كل فرد عاجزا عن تحصيل جميع حاجاته المادية الضرورية لبقائه بمفرده فقد اقتضى ذلك اجتماع الناس وتعاونهم، والتعاون استدعى تقسيم الأعمال فيما بينهم وذلك لتنوع الأدوات الضرورية والحاجات المادية المختلفة التي يحتاجها المجتمع".[1]

وأشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله:" فالناس إنما يجتمعون للتعاون في تحصيل المعاش، ابتداء بما هو ضروري وبسيط قبل الحاجي والكمالي، فمنهم من يستعمل الفلح ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان ومن هؤلاء من ينتحلالتجارة".

ولكن مصالح الأفراد متناقضة فيما بينهم، ولذلك لابد من أداة ضبط تحمي مصالح الناس وتقيهم شر الصراع، وهنا يأتي دور الدولة التي تقود المجتمع وتوازن بين مصالح الناس المتناقضة وتحقق الاستقرار والسلام بين أفراده.

فالدولة إذن ضرورية برأي ابن خلدون، وقد عبر عن هذه الضرورة بقوله:"الملك منصب طبيعي للإنسان وقد بين أن البشر لا تكمن حياتهم ووجودهم إلا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضروراتهم، وإذا اجتمعوا دعت الضرورة إلى المعاملة واقتضاء الحاجات ومد كل منهم يده إلى حاجته، يأخذها من صاحبه لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض ويمانعه الآخر عنها بمقتضى الغضب والأنفة، ومقتضى القوة البشرية، في ذلك يقع التنازل المفضي إلى انقطاع النوع والمقاتلة، وهي تؤدي إلى الهرج وسفك الدماء وإذهاب النفوس فاستحال بقاؤهم إلى فوضى دون حاكم يزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من أجل ذلك إلى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم".[2]وما نفهمه من هذا أن الدولة ضرورة حتمية ينصرف إليها المجتمع الذي تحكمه طبيعة تهوى التملك والسيطرة والقوة.

---

[1] – زياد عبد الكريم النجم، **توينبي ونظرية التحدي والاستجابة، الحضارة الإسلامية أنموذجا**، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2010، ص39.

[2] – عبد الرحمن إبن خلدون ، **المقدمة** ،ج 1،دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت،ط2 ،1988ص ص 155،.163

2-العصبية:يعتبر ابن خلدون "العصبية" من إحدى الأسباب أو السبب الثاني في نشأة الدولة، حيث تشكل العصبية محور نظرية ابن خلدون في الدولة فهي أساس الملك ولها مظاهر ومراتب مختلفة. وقبل التطرق إلى العصبية كعنصر وسبب من أسباب نشأة الدولة نذهب أولا إلى إعطاء بعض المفاهيم اللغوية والاصطلاحية لهذا المفهوم.

أ-التعريف اللغوي:يعرف بعض الباحثين العصبية بقولهم:" مشتقة من كلمة أصل "غضب" الذي يعني حرفيا (تجمع) و(شد) و(أحاط) و(اجتمع). ثم إن عددا من الألفاظ المشتقة من نفس الأصل تتضمن نفس الفكرة وهي: عصب (جعل شخصا على رأس الحزب)، تعصب(عصب رأسه بعصابة، كان متعصبا)، انعصب (أصبح قاسيا) وعصب (عمامة) وعصب(نخبة قليلة) وعصابة (جماعة من الرجال) ومعصب (زعيم، وسيد.....الخ).[1]

أما العصبة فهي قريبة من مصطلح العصبية وهي مذكورة في القرآن الكريم في قوله تعالى:" وأتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة".[2] بمعنى حسب ما جاء في الآية أن العصبية تظهر عند الجماعة المتحدة بحيث يجمعها عامل القوة وهناك لفظ آخر من الألفاظ المشتقة من نفس المصدر كذلك، وهو التعصب الذي يعني لغة التجمع ولكنه لا يعني التجمع الحسي بل التجمع المعنوي وبالتالي شعور الفرد بأنه جزء لا يتجزأ من العصبية التي ينتمي إليها.[3] أي أن الفرد من خلال هذا المعنى لا يستطيع أن يفصل نفسه عن الآخرين ولا أن يتصرف على هواه بل لابد له أن يتحلى بروح الجماعة التي ينتمي إليها حتى ولو كانت مجحفة في حقه بأن يتماشى معها ويطبق القوانين التي رسمتها والتي اتفق عليها من قبل الجماعة كما أنها تزرع فيه حب الوحدة التي تجمعهم.

ب- التعريف الاصطلاحي:

يعرف ابن خلدون العصبية على أنها:" رابطة اجتماعية نفسية تربط أفراد جماعة بشرية معينة قائمة القرابة المادية أي رابطة الدم، أو معنوية أي التحالف ربطا مستمرا يبرز ويشتد في أوقات الخطر

[1]- عبد الغني مغربي، **الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون**، ترجمة محمد بن الشريف، الجزائر،دط، 1986'، ص 145.

[2]-سورة القصص، ص 721.

[3] -محمد عابر الجابري، **فكر ابن خلدون: العصبية والدولة**، بيروت،ط2، 1994، ص 168.

الذي يهدد الأفراد والجماعة، إذ يرى أنها ظاهرة طبيعية هدفها الاتحاد والالتحام والتناصر لدفع العدوان ومنع التظالم ومصدرها القرابة وصلة الرحم".[1]

والذي عناه ابن خلدون من هذا التعريف أن العصبية قبل كل شيء هي رابطة تعمل على الربط بين أفراد الجماعة الواحدة ذات الصلة: صلات دموية وصلات جوارية يجمعهم محيط واحد فتجدهم ملتحمين في أوقات الشدة للحفاظ على تلك الرابطة.

كما أن مفهوم العصبية على الأغلب تعني العلاقة بين ذوي القربى حيث أشار ابن خلدون لمعنى العصبية قائلا:" أن صلة الرحم أمر طبيعي في البشر، إلا في الأقل ومن صلتها النكرة على ذوي القربى وأهل الأرحام،ذلك أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة، فان القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه، ويود أن يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك.....فإذا كان السبب المتواصل بين المتناصرين قريب جدا بحيث حصل به الاتحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بوضوحها وإذا بعد النسب بعض الشيء فربما ينفي منها شهره فتحمل على النصرة لذوي نسبه الأمر المشهور".[2]بمعنى أن العصبية تنتج من صلة الرحم.

وعليه ومن خلال التعريفين السابقين للعصبية (اللغوي والاصطلاحي) تبين لنا أن هذه الأخيرة تتعلق بذوي القربى.

إذا فالعصبية في الأساس تستند إلى وحدة النسب بالدرجة الأولى غير أن هذه القرابة من الأمور تحتاج إلى نظر من عدة وجوه. فللقرابة مراتب متفاوتة داخل أهل القبيلة الواحدة، ولكن مما لاشك فيه أن القرابة تربط بين الأخوة من أب واحد تكون أقوى من التي تربط بين أهل البيت الواحد وبالتالي فقوة العصبية المنبثقة من القرابة تختلف باختلاف درجة هذه القرابة.وهكذا نلاحظ أن الالتحام المنبثق من وحدة النسب الخاص يكون أقوى من الالتحام المتولد من وحدة النسب العام.[3]

ويرى ابن خلدون أن العصبية لا تشمل الذين تربط بينهم رابطة الدم فحسب بل تشمل أيضا أهل الولاء والحلف والموالي والمصطنعون. يقول ابن خلدون في هذا السياق:" إذا اصطنع أهل العصبية قوما من غير نسبهم أو استرقوا العبدان (العبيد) والموالي والتحموا به.... ضرب معهم أولائك الموالي

[1] – حسن إسماعيل، **الدلالات الحضارية في لغة المقدمة عند ابن خلدون**، بيروت، 2007، ص 272.

[2] –عبد الرحمن ابن خلدون، **المقدمة**، مرجع سبق ذكره، ص 112.

[3] – جمعة علم الدين اليقين، **فلسفة التاريخ عند أرنو لد توينبي**،المرجع سبق ذكره، ص 29.

والمصطنعون بنسبهم في تلك العصبية ولبسوا جلدتهم كأنها عصبتهم وحصل لهم من الانتظام في العصبية مساهمة في نسبها كما قال صلى الله عليه وسلم "موالي القوم منهم".

وقد حاول ابن خلدون أن يوفق بين العصبية وبين مبادئ الإسلام، فلقد رأى أن العصبية بمعناها في الجاهلية شعور مكروه وسلوك يجب أن يدان لأنها بهذا المفهوم تنبع من شعور الكبرياء والغرور والرغبة في الانتماء إلى قبيلة قوية ونبيلة. ولقد رأى ابن خلدون أن مشاعر التضامن داخل العصبية لها تبريرها إذا عبرت عن نفسها لأسباب دينية أو دنيوية على أن تكون مشروعة.لقد هاجم المساندة لمجرد الانتماء لنفس العصبية، سواء كانت القضية عادلة أو غير عادلة، يبدوا إذا أن المعيار الذي استخدمه ابن خلدون للحكم على العصبية هو غرض العمل الذي يتحقق بفضلها.[1]

إلا أن ابن خلدون قد اعتبر "العصبية" بمثابة الوسيط بين وجهي العمران: فهي تتبدى بأجل مظاهرها في كونها لحمة الاجتماع في الأصل، في طور البداوة، في حين أن تراخيها عند بلوغ أعلى مراحل أطوار التحضر يبشر بالانحطاط وقيام النظام السياسي والفوز بالرياسة والحفاظ عليها مشروط إذن بالعصبية التي تبدو عصب السببية التاريخية.[2]

ولكن ما يهمنا هو الدور السياسي للعصبية حيث أنها السبب الثاني من أسباب الدولة كما يرى ابن خلدون.

ثانيا: تقسيم المجتمع البشري

لكي يتسنى لنا توضيح دور العصبية في قيام الدولة ونشوءها لابد لنا من أن نرجع إلى تقسيم ابن خلدون للاجتماع البشري والذي يقسمه إلى قسمين:

1-المجتمع البدوي: وهو الأصل في كل أمة وهو السابق على الحضارة والبداوة هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم، ويتصفون بالشجاعة والخير، وهم أقرب إلى الفطرة السليمة التي لم تفسدها بعد مظاهر الترف.فأهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام وأنهم مقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن.

[1]- زياد عبد الكريم النجم، **توينبي ونظرية التحدي والاستجابة**،مرجع سبق ذكره، ص 41.

[2]-لابيكا جورج، **السياسة عند ابن خلدون**، ترجمة موسى وهبي، شوقي دويني، دار الفارابي، بيروت، 1980،ص 91.

2-المجتمع الحضري: وهو المجتمع الذي يقطن أهله المدن وهم المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم، ومنهم من ينتحل في معاشه الصنائع، ومنهم من يعمل في التجارة، ويشهد هذا المجتمع تطورا في العلوم والفنون والصناعات وكل وسائل الترف والرفاهية.

إن ما يسميه ابن خلدون بالعصبية هو ما أطلق عليه "ماكيافيلي" اسم "فضيلة" وهو القابلية الفطرية للسلطة السياسية، وبفضل هذه الصفة يتمكن الزعماء من فرض وجهات نظرهم، فالقول بأن زعماء الفئات التي تتوحد فيها العصبية قد أبدوا هذه القابلية هو قول صحيح.[1]

إذا يرى ابن خلدون أن البدو هم أصل الحضر، وأن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة. وعلى هذا النحو يقسم توينبي المجتمعات البدائية والمجتمعات الحضارية ويعتقد أن أصل المجتمعات الحضارية إنما يرجع إلى المجتمعات البدائية، ويقرر بناءا على ذلك أن هناك ستة مجتمعات قد انبثقت من الحياة البدائية مباشرة وهي:المصرية والسومرية والمينوية والألمانية والأنديانية والصينية.

وبالرغم من هذا التشابه بين كل من ابن خلدون وتوينبي في هذه الفكرة الأساسية حول نشأة المجتمعات البدائية وانتقالها إلى مجتمعات حضارية إلا أن هناك اختلافا جوهريا بينهما في نقطة هامة تتصل بمسألة تحول هذه المجتمعات البدائية إلى مجتمعات حضارية، حيث يرى ابن خلدون أن الذي يحدد نوع المجتمعات هو نوع النحلة المعاشية،وأسلوب الحياة الاجتماعية. وقد أوضح ذلك من خلال ذكره من سمات رئيسية تميز حياة كل مجتمع وكيفية الانتقال من حالة البداوة إلى حالة الحضر عن طريق تغير نحلهم المعاشية. وبالتالي صفاتهم الأساسية. في حين يرى توينبي أن هناك انتقالا متعاقبا من حياة المجتمعات البدائية إلى حياة المجتمعات الحضارية، أي من الركود أو السكون إلى الحركة بمعنى آخر انتقال من السلب إلى الإيجاب....وانتهى به القول أن الحضارات إنما تظهر للوجود عندما تواجه الناس مشكلة ويطلق عليها توينبي اسم "التحدي" وتتطلب لحلها استجابة ناجحة.

وهكذا نرى أن كل من توينبي وابن خلدون يتفقان حول فكرة نشأة المجتمعات، ويختلفان في آلية الانتقال أي انتقال المجتمعات البدائية من بدائيتها إلى حالة المجتمعات الحضارية.

ويرى ابن خلدون أن العصبية هي صلة الوصل ما بين حلقتي المجتمع أي المجتمع البدوي والمجتمع الحضري والغاية التي تسعى إليها العصبية وهي الملك.

[1] -لاكوست، ايف، ابن خلدون، ترجمة ميشال سليمان، دار ابن خلدون، بيروت، ط 3، 1983، ص 127.

ثالثا: أجيال الدولة

بعد أن تعرفنا على أسباب نشوء الدولة يجدر بنا الآن الانتقال إلى المراحل والأطوار التي تمر بها الدول والأجيال التي تتعاقب عليها، أي باختصار حركة الدولة وتطورها عبر التاريخ.

نظر ابن خلدون للدولة على أنها كائن حي يولد وينمو ثم يهرم ويفنى. وللدولة عمر مثلها مثل الكائن الحي تماما ولقد حدد صاحب المقدمة عمر الدولة بمائة وعشرين سنة وهي برأيه تتكون من ثلاثة أجيال وأن الدولة في الغالب لا تعدو هذه الأجيال الثلاثة، والجيل هو عمر شخص واحد في العمر المتوسط فيكون أربعين سنة.

فما هي هذه الأجيال الثلاثة ؟.

1-الجيل الأول: يقول ابن خلدون واصفا هذا الجيل:" لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد فلا تزال صورة العصبية محفوظة فيهم، فحدهم مرهف، وجانبهم مرهوب، والناس لهم مغلوبون".[1] والمقصود من هذا أي أن الجيل الأول هو جيل البداوة وهو أيضا جيل مترعرع بالعصبية والشجاعة والتقشف يعيش حياة بدوية خشنة، بعيدة عن الترف وعن المدن إذ يعيش في الريف والبداوي.

2-الجيل الثاني: ويصف ابن خلدون هذا الجيل بقوله:" والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفة من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف".[2] ومنه فالجيل الثاني هو جيل الحضارة وهو الجيل الذي يتحقق على يديه الملك، والذي يؤسس الدولة فينتقل من الحياة البدوية الخشنة أو من العمران إلى الحياة المتمدينة المترفة أو العمران الحضري. وفي هذا الجيل تضعف العصبية نتيجة الترف وتقل الشجاعة وترق الطباع وتحل القيم الحضرية محل القيم البدوية. أي أن الترف هو غاية الدولة ومقصدها التي تتباهى به أمام الأمم. إلا أنه لا يلبث إلى أن يصبح في الأخير عالة على الدولة بحيث يؤدي إلى خراب العمران وهو ما سيكون في الجيل الثالث حيث عبر عليه "عبد السلام الجفائري" في كتابه مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي حيث قال:" أن الترف رغم أنه

[1]- عبد الرحمن إبن خلدون، **المقدمة**، مرجع سبق ذكره، ص 34.

[2]-مرجع نفسه، ص 135.

مظهر الحضارة ولكنه أيضا دمها، فهو غاية العمران ولكنه مؤذن بنهايته أيضا".[1] بمعنى أن الحضارة هي غاية العمران والترف هو غاية العمران.

3-الجيل الثالث: أما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفتقدون حلاوة العز والعصبية لما هم فيه من ملكة القهر" ويبلغ الترف غاية بما يتبنوه من النعيم ونضارة العيش، فيصيرون عيالا على الدولة، ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم، وتسقط العصبية بالجملة، وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون على الناس في الزي وركوب الخيل وحسن الثقافة يموهون بها.وهم في الأكثر أجبن من النسوان ...فإذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعته فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم من أجل النجدة ويستكثر بالموالي حتى يأذن الله بانقراضها فتذهب الدولة بما حملت".[2] وعلى يد هذا الجيل يكون زوال الدولة.

وكما أن للدولة أجيالا فهي تمر بأطوار مختلفة وحالات متجددة....هذه الحالات وأطوارها لا تعد ولا تحصى .وحسب رأي ابن خلدون هي في الغالب خمسة أطوار. ففيما تتمثل يا ترى؟.

رابعا: أطوار الدولة

صنفها ابن خلدون إلى خمسة أطوار لكل طور خصائصه وميزاته وهي كالآتي:

1-الطور الأول: يقول ابن خلدون:" الطور الأول طور الظفر بالبغية، وغلب المدافع والممانع والاستيلاء على الملك وانتزاعه من أيدي الدولة السابقة قبلها.فيكون صاحب الدولة في هذا الطور أسوة قومه في اكتساب المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية، لا ينفرد دونهم بشيء لأن ذلك هو مقبض العصبية والتي وقع بها الغلب".[3] أي أن الدولة تنشأ على أنقاض دولة سابقة، كما يتميز هذا الطور بأنه طور الظفر والاستيلاء على الحكم بمعنى أن هذا الطور لا ينشأ من العدم بل هو مؤسس وناتج عن أنقاض دولة سابقة وهو الطور الذي يشهد سلب الحكم من السابقين.

2-الطور الثاني: يقول ابن خلدون عن هذا الطور:" هو طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم

---

[1] - محمد عبد السلام الجفائري، **مشكلات الحضارة عند مالك ابن نبي**، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص166 .

[2] - صائب عبد الحميد، **فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي**، دراسة مقارنة بالمدارس الغربية الحديثة والمعاصرة، دار الهادي ، د م ن، د س ن، ص 372.

[3] -عبد الرحمن إبن خلدون، **المقدمة**، مرجع سبق ذكره، ص 138.

بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة، ويكون صاحب الحكم في هذا الطور معنيا باصطناع الرجال واتخاذ الموالي والصناع والاستكثار من ذلك لجدع أنوف عصبيته وعشيرته المقاسمين له في نسبه". بمعنى أن الحاكم في هذا الطور يبدأ باحتكار السلطة السياسية لذاته دون أقاربه من أفراد العصبية، ورفض مشاركتهم السياسية وينتج عن ذلك توتر سياسي مما قد يجعل الحاكم يلجأ إلى اتخاذ أعوان وأنصار من الموالي والأباعد لحمايته من المعارضة.

3-الطور الثالث:يعبر ابن خلدون عن هذا الطور بقوله:" طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما ينزع طبائع البشر إليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت، فيستفرغ وسعه في الجباية وضبط الدخل والخرج وإحصاء النفقات، والقصد فيها، وتشييد المباني الحالقة والمصانع العظيمة والأمصار المتسعة والهياكل المرتفعة".[1] بمعنى أن هذا الطور حسب ابن خلدون هو طور الترف والتفرغ للبناء والعمران والتفاخر بالمنشآت. أي أن هذا الطور يشهد ثمرات الملك بحيث تسود الراحة والطمأنينة، وتزدهر الدولة وتتقوى.

وخلاصة القول أن هذا الطور هو الذي يعبر عن ما وصلت إليه الدولة من تحضر، وذلك من خلال المظاهر الحضارية المختلفة سواء كانت مظاهر مادية أو معنوية. إلا إن هذا الطور شهد مظهر آخر وهو ذلك المظهر الدال على التدهور لأنه يعرف الترف والإسراف في التمتع بملذات الدنيا.

4-الطور الرابع: يقول ابن خلدون:"صاحب الدولة في هذا الطور يكون قانعا بما بنى أولوه سلما لأنصاره من الملوك وأقتاله، مقلدا للماضين من سلفه".[2]وهذا الطور هو طور القنوع والمسالمة والدولة في هذا الطور تدخل حالة السكون والتقليد وتفقد القدرة على الإبداع والتطوير.

5-الطور الخامس: وهو طور "الإسراف والتبذير" حيث يقول ابن خلدون في هذا الصدد واصفا هذا الطور بقوله:" فيكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفا لما جمع أولوه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانته وفي مجالسه...فيكون مخربا لما كان سلفه يؤسسون وهادما لما كانوا يبنون وفي هذا الطور تحمل الدولة طبيعة الهرم، ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا تكاد تخلص منه، ولا يكون لها معه براء إلى أن تنقرض".

[1]- عبد الرحمن إبن خلدون، **المقدمة**، مرجع سبق ذكره، ص 139.

[2]-المرجع نفسه، ص 139.

بمعنى أن هذه المرحلة هي نتيجة للمرحلة السابقة ومكملة لها، حيث تفقد الدولة هيبتها فتنحل وتزول. ومنه فمرحلة الإسراف والتبذير هي المرحلة الأخيرة في الدولة والتي تزول من خلالها.

وبتحليل نظرية ابن خلدون في الدولة نسلط الضوء الآن على أبرز النقاط التي يتشارك فيها "ابن خلدون" وتوينبي:[1]

- يقابل مفهوم الدولة عند ابن خلدون مفهوم الحضارة و المجتمع عند أرنو لد توينبي.
- يقسم كل من ابن خلدون وتوينبي المجتمع إلى مجتمعين: المجتمع البدوي والمجتمع الحضري، إلا أنهما يختلفان في آلية الانتقال.
- كلاهما يقر ويتبع نظرية التعاقب الدوري للحضارات.
- يؤمن كل منهما أن الحضارة والدولة تمر بمراحل متتالية نموا واندثارا.
- تقابل مفهوم العصبية عند ابن خلدون مفهوم الأقلية المبدعة عند توينبي.
- كلاهما يربط نظريته بالدين.

إن أبرز الأدلة التي تجعل من ابن خلدون مصدرا هاما ينهل منه كل من درس التاريخ، هو ابتكاره للقواعد العامة التي يفهم من خلالها التاريخ. فمقدمته تعتبر بحث تاريخي نقدي يعارض فيه من سبقه من المؤرخين والمفكرين الذين جمعوا الروايات دون منهج خاص يفرق بين الأسطوري والحقيقي من الأخبار. [2]

المبحث الثالث: شبنغلر وتشاؤمه من مستقبل الحضارة الغربية:

أولا: مفهوم شبنغلر للمدنية:

لابد لنا أن نفرق بين مفهوم المدنية ومفهوم الحضارة كما تصورهما شبنغلر، وذلك لأنه إستخدم كلا المفهومين للتعبير عن التتابع الدوري لحركة التاريخ، فالمدنية كما تصورها شبنغلر هي بداية النهاية للحضارة[3]، إنه يعني أن المدنية هي الواقعية بدلا من إحترام التقاليد هي الدين العلمي لا دين القلب ويترتب على ذلك أن المثل الأعلى للحياة يصبح متجسدا في القضايا المادية وهنا ينشأ التعارض

[1] -عبد الرحمن إبن خلدون، **المقدمة**، مرجع سبق ذكره، ص139.

[2] -عفت الشرقاوي، **في فلسفة الحضارة الإسلامية**، دار النهضة العربية، بيروت، ط 4، 1985، ص 379.

[3] -زياد عبد الكريم، توينبي ونظريته التحدي والاستجابة، دمشق،2010،ص53.

بين هذه المدنية وجميع التقاليد الممثلة للحضارة (الكنيسة-الفن-العائلات) لأنها تمثل خاتمة الحضارة وبداية مرحلة جديدة من مراحل الوجود البشري غير محددة المعالم ولكنها حتمية لا يمكن تجنبها.[1]

-وهنا نلمس إمتداد آراء شبنغلر في تفسير توينبي لحركة التاريخ، حيث إلتقى مع شبنغلر حول تصوره لواقع ومستقبل الحضارة الغربية التي وصلت برأيهما إلى مرحلة المدنية، وإذا إعتبر شبنغلر المدنية هي المصير المهم للحضارة أي أنها نهاية الحضارة ورأى أن الحضارة الغربية وصلت إلى مرحلة المدنية وبالتالي يلزم عن ذلك أن المدنية الغربية صائرة إلى زوال، لكن توينبي اعتقد أنه من الممكن إنقاذها من خلال إتخاذها صورة الدولة العالمية، ترتكز على التعاون العالمي والمجتمع الجديد وتتأسس هذه الدولة العالمية على الإيمان الصلب الذي يمكن أن ينقض المدنية الغربية من مصير الفناء، وهذا ما يجعلنا نعتقد بأن توينبي قد دعا إلى العولمة، أرادها أن تقوم على أساس روحي ديني يتجسد ذلك من خلال دولة عالمية تسيطر عليها الكنيسة،يرأسها البابا راعي الكنيسة[2].

ثانيا: مفهوم شبنغلر للحضارة:

التاريخ عند شبنغلر مكون من كائنات عضوية تمثل الحضارات فميلاد الحضارات و إزدهارها،ما هي إلا عملية بيولوجية تشبه ما يحدث للكائنات الحية، فتاريخ كل حضارة كتاريخ الإنسان.

وأن مولد ونمو وإزدهار وإنحلال هي مراحل تمر بها كل الحضارات، وإمكان التنبؤ بمستقبل أي حضارة، وبناء على ذلك تنبأ شبنغلر بزوال الحضارة الغربية، وتعتبر هذه الفكرة من الأسس التي ترتكز عليها نظرية التوينبي في فلسفة التاريخ.[3]

-ولكن كيف تنشأ الحضارة برأي شبنغلر؟

" الحضارة عبارة عن روح زاخرة بالإمكانيات تأتي إلى الوجود في بيئة خارجية، بها الكثير من القوى في حالة فوضى فتشرع في التأكيد على صورتها ضد هذا الخليط، ثم تفرض صورتها عليه وهنا يصبح تاريخ

[1]-جمعة علم الدين، نيفين،فلسفة التاريخ عند أرنو لد توينبي،ص57.

[2]-زياد عبد الكريم،توينبي ونظريته التحدي والاستجابة،دمشق،2010،ص55.

3-مرجع نفسه ص55.

حياة هذه الحضارة هو تاريخ هذا النضال بينها وبين تلك القوى،وفي أثناء ذلك النضال يتحقق العديد من الأوضاع.[1]

-وفي حين تصبح هذه الروح غير قادرة على الإستمرار، بسبب الضعف الذي يدب فيها تحت تأثير أحد عاملين: إما بتأثير روح أخرى جديدة أو عندما تنتنفذ الروح كل طاقاتها بعد أن تكون قد حققت جميع إمكاناتها الباطنية على صورة (لغات ومذاهب دينية وفنون وعلوم وتشريعات سياسية...) وبلغت ذروة قوتها وبلغت أقصى إمكاناتها عندئذ تنحصر قوتها وتنتقل من كونها حضارة إلى حالة أخرى هي المدنية، فتدخل في (حالة) مرحلة الإنحلال والفناء، ومع ذلك قد تستمر بالبقاء لفترة من الزمن قد تطول أو تقصر ولكن الفناء الحتمي مصيرها[2].

-إذا يستخدم شبنغلر كلا من مفهوم الحضارة، ومفهوم المدنية للتعبير عن المفهوم الدوري عن تتابع ضروري،"وهي المصير المحتوم للحضارة، وهي بهذا المعنى تصبح نتائج الشيء الذي يصير، وتشكل نهاية لا يمكن أن تقف أمامها إرادة أو العقل ولكنها تبلغها الحضارات، بضرورة باطنية"[3].

ثالثا: توينبي في مواجهة شبنغلر:

-إذا أردنا أن نجري مقارنة بين الفيلسوفين توينبي وشبنغلر سنجد بينهما اختلاف كبير على الرغم من كل النقاط التي يلتقيان حولها وعلى الرغم من تأثر توينبي بأفكار شبنغلر، فلقد كان شبنغلر يمثل (الحانوقي) الذي جاء يتلو مراسم تأبين الحضارة الأوروبية وهي في طريق إلى القبر أما توينبي فهو بمثابة الطبيب الذي يبذل قصارى جهده لعلاج المريض الذي يرقد على فراش الموت.

-رأى توينبي أن الحضارة الأوروبية تحتضر، ورأى شبنغلر أنها ماتت وشبعت موت، والحضارة عند شبنغلر كائن حي يولد وينمو ويموت، في حين أن توينبي يرى موت الحضارة ليس أمرا حتميا لا مفر منه[4]، ويقول في ذلك:"...أن الحضارة إذا تغلبت على التحدي يمكن أن تتجمد إلى أن يشاء الله لها

[1]-بدوي، عبد الرحمان، المنجلي،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،1941،م،ص96-99.

[2]-زياد عبد الكريم النجم،توينبي ونظريته التحدي والاستجابة،دمشق،2010،ص56.

[3] -OSWaldspengler.thedzcline of the west.vol1.new york.AL Fred manlivi.1932.p31.

[4]-زياد عبد الكريم النجم،توينبي ونظريته التحدي والاستجابة،ص64.

الحياة أو السكون أو الموت...ولكن الموت ليس حتميا..."[1]وقد أعطى توينبي دورا كبيرا للفاعلية الإنسانية في مسيرة الحضارة بدءا من تكوينها وحتى إنحلالها، ورأى أن الإنسان بيده أن ينقذ حضارته من مصير الفناء إذا إبتعد عن الحروب وإلتزم بالدين.

-كان الفيلسوف الألماني شبنغلر الابن الروحي للفيلسوف الألماني (جوته) والأب الروحي للزعيم الألماني النازي(هتلر) أما الفيلسوف الإنجليزي توينبي فهو ابن إنجلترا لا يحب جوته ويكره هتلر[2].

توينبي إبن الديمقراطية الإنجليزية، أما شبنغلر فقد عرف بأفكاره غير الديمقراطية، وعرف بعدم إيمانه بحرية الصحافة، وتقديمه للعمل على الفكر، وقد بالغ شبنغلر في إستخدام فكرة التماثل بين الحضارات، وبالغ في إستخدام إصطلاح(الحياة والعضوية) أما توينبي فقد آمن بقدرة الإنسان في الرد على التحديات التي تواجهه[3] ومن ثم رأى "إمكانية قيام الحضارات وعودتها بعد انسحابها أي أن الحضارات لا تولد تماما ولا تموت تماما"[4]

-وأخيرا نقول:" لقد استطاعت تحليلات توينبي المتفائلة أن تخلق جيلا من المفكرين والقادة يؤمن بأن القارة العجوز(أوروبا) تملك القوة الخلاقة لإنهاض الحضارة...ويرى هؤلاء أن القوة الخلاقة متوفرة في السياسة الأوروبية، وفي الاقتصاد الأوروبي، وفي الفنون كالمسرح والسينما والموسيقى،والتقدم الأمريكي وفي التوجيهات الديمقراطية والتطلع إلى السلام العالمي[5].

[1]-أرنولد توينبي،الفكر التاريخي عند الإغريق، ترجمة: لمعي المطيعي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط3،القاهرة،1990،م،ص14.

[2]-زياد عبد الكريم النجم،توينبي ونظريته التحدي والإستجابة،دمشق،2010،ص64.

[3]-مرجع نفسه،ص64.

[4]-أرنولد توينبي،الفكر الإغريقي عند الإغريق ،مرجع سبق ذكره،ص15.

[5]-زياد عبد الكريم النجم،توينبي ونظريته التحدي والاستجابة ،ص65.

الفصل الثاني

نظرية التحدي والإستجابة عند

أرنولد توينبي

مدخل:

موضوع البحث التاريخي عند توينبي هو المجتمع الكل الذي يدخل فيه عدد من المجتمعات التي تربط فيما بينهم علاقات تأثير وتأثر بأنحاء مختلفة وتتميز هذه المجتمعات وتنفصل عن بعضها مع حركة الأحداث" وهي لا تكون مفهومة في تأثيرها الجزئي ما لم ينظر إليها نظرا شاملا في ذلك المجتمع الكلي".[1] وإن دل هذا القول حسب توينبي على شيء فإنه يدل على وجود نظرية جديدة اعتبرها كما أسلفنا علاقة تأثير وتأثر بأنحاء مختلفة بين المجتمعات يصطلح عليها بنظرية التحدي والاستجابة والتي تناولناها في هذا الفصل والتي توصلنا من خلالها إلى طرح مجموعة من التساؤلات والتي مفادها كالآتي :ما مفهوم هذه النظرية الجديدة؟ وماهي أنواع التحديات أنواع الإستجابات ؟ وفيما تكمن إيجابيات وسلبيات هذه النظرية ؟

[1]- سي سمرقل ، **بحث في التاريخ لتوينبي، مختصر الأجزاء الأولى الستة**، ص 05.

المبحث الأول: مفهوم نظرية التحدي والاستجابة

لقد درس أرنو لد توينبي وحلل من خلال دراسته لقانون التحدي والاستجابة" إحدى وعشرين حضارة درسها دراسة شاملة ومقارنة وخرج بنظريته القائلة أن حركة التاريخ لا تعود إلى البيئة الجغرافية ولا تعتمد على الأجناس وإنما هي موقف الجماعة مما يقابلها من تحديات ونوع استجاباتها لها".[1]

لكن هذه الفكرة" فكرة نظرية التحدي والاستجابة " ليست فكرة جديدة فقد درسها أيضا "وندو دريد" في كتابه استشهاد إنسان ولكن فضل توينبي يكمن في كونه استطاع أن يستثمرها ويوظفها توظيفا واسعا في دراسة نشأة الحضارات وتطورها".[2]

وقد كان تفسير توينبي لنشوء الحضارات الأولى من خلال نظرية التحدي والاستجابة والتي نلحظ تأثير علم النفس السلوكي عليها خاصة نظرية كارل يونغ، إذ أن توينبي استلهم نظريته من علم النفس السلوكي حيث أن الإنسان يتعرض لفترة ما، لكن قد يستجيب بعد فترة من الزمن بنوعين من الاستجابة.أما عن الأولى فهي النكوص إلى الماضي لاستعادة التوازن والتمسك به بديلا عن واقعه المر فيصبح انطوائيا وهذه تعتبر استجابة سلبية، وأما عن الثانية فقبول الصدمة والاعتراف بها ثم محاولة التصدي لها والتغلب عليها وهذه هي الاستجابة الايجابية والتي يكون فيها الإنسان انبساطيا.[3]

وقد عرف توينبي بصاحب هذه النظرية وغدت العلاقة بينهما علاقة محايثة فحينما يذكر اسمه يستدعي مفهوم التحدي والاستجابة،وحين تذكر هذه النظرية يقفز إلى ذهن توينبي حيث اشتهر بها كما اشتهر أفلاطون بنظرية المثل وأوغسطين بالعناية الإلهية، والقديس أنسليم بالبرهان الأنطولوجي، وديكارت بالشك المنهجي، وكولن ويلسون بسقوط الحضارة.[4]

وعلى الرغم من استحالة وجود تعريف واضح لنظرية التحدي والاستجابة لا عند توينبي ولا عند من درسوه مما ألزم علينا الأمر وجود صعوبة في تحديد المفهوم إلا أننا حاولنا أن نعطي تعريفا تقريبيا لهذا المفهوم فمفهوم " التحدي والاستجابة" هو مفهوم مزدوج اللفظ والمعنى والوظيفة.[5]

---

[1]- حسين مؤنس، **الحضارة دراسة في أصولها وعوامل قيامها وتطورها** ، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1998، ص121.

[2]- هاشم يحي الملاح، **المفصل في فلسفة التاريخ** ، دار الكتب العلمية، ط1، 2007، ص 389.

[3]- علي عبود وآخرون، **فلسفة التاريخ جدل البداية والنهاية والعود الدائم**، مرجع سبق ذكره، ص 371.

[4]- حسين مؤنس، **أرنو لد توينبي ونظرية التحدي والاستجابة**، مجلة العربي، جانفي 1974، ص ص 99-105.

[5]- زياد عبد الكريم النجم، **الحضارة الإسلامية في ضوء نظرية التحدي والاستجابة**، مرجع سبق ذكره ،ص 51.

أما من حيث اللفظ فنحن بإزاء مفهومين وهما: التحدي، الاستجابة.فلفظ التحدي يسير إلى وجود موضوع ، مشكلة، موقف، سؤال وغيرها من المعاني التي تدل على خارجية التحدي من حيث أنه وجود قائم خارج الذات التي تسجيب له.

وبهذا ترمز الاستجابة إلى الرد، الجواب، الحل...وغيرها من المعاني التي تدل على داخلية الاستجابة من حيث أنها وجود قائم داخل الذات،فالاستجابة هي الذات والتحدي هو الموضوع. وعلى هذا النحو تكون إزاء المشكلة الجوهرية التي جابهها الإنسان وهي مشكلة العلاقة بين الموضوع والذات، بين العالم الخارجي بكل تحدياته المادية والطبيعية والتاريخية وبين العالم الداخلي للذات البشرية.[1]

كما أن الاستجابة تعني في موسوعة أندري لالند الفلسفية:" ردة الفعل هي فعل كائن مستأثر بفعل يعانيه في الفيزيولوجيا وفي النفسانيات خصوصا، وهي فعل الجسم العضوي كرد على إثارته. لا يقال عموما إلا على الأفعال الممكن إدراكها من الخارج والمؤثرة في الوظائف العلائقية للكائن المعني ولكن يتعين نظريا عاما يبدو استدخال كل المؤثرات القرينة المحددة بمثير ما حيث وإن لم تكن مؤثرات ظاهرة (مثلا الإفرازات الداخلية أو من حيث المحابطات) وتصنيفها في نطاق فكرة الاستجابة أو رد الفعل ولا يستثني من ذلك سوى تغيرات المراكز التي تحدثها الإشارة مباشرة".[2]أي هي رد فعل(فعل إما يكون خارجي أو داخلي. كما أن الزمن الفاصل بين الفعل والاستجابة التي هي ردة الفعل يسمى بأمد الاستجابة والذي يعرفه بأنه أمد الاستجابة وهو الوقت المستغرق لاستجابة العضو المنبه أي الفارق بين الفعل ورد الفعل.

لكن الفصل بين التحدي والاستجابة هو جائز فقط على الصعيد النظري لغرض التبسيط والفهم، أما في سياق الخبرة المباشرة للحياة الواقعية فمن الصعب الفصل بينهما ، وبهذا جاءت هذه النظرية عند توينبي في التعبير الأمثل عن رد فعل الكائن الحاس على العالم المحسوس.[3]

وعليه فهذه الاستجابة التي تعد رد فعل الكائن الحاس إزاء المؤثرات الحسية لم تكن في الواقع من اكتشاف توينبي ولا غيره من المؤرخين بل هي فطرة وطبع في الإنسان والحيوان وهي غريزة لحفظ الحياة والمحافظة على البقاء، هكذا يقول الدكتور يوسف الحوراني أن توينبي قد استند إليها لا شعوريا عندما صاغ نظريته.[4]

---

[1]- جمال بروال، **الدورة الحضارية بين فكر مالك بن نبي وأزفالدشبنغلر**، رسالة مقدمة لاستكمال نيل درجة الماجستير، اشراف عبد المجيد عمراني، باتنة، كلية العلوم الإنسانية،2013/2012، ص 36.

[2]- أندريه لالند، **موسوعة لالند الفلسفية**، ترجمة خليل أحمد خليل، المجلد 2، منشورات عويدات، بيروت:2001، ص 174.

[3]-مدني صالح، **في مهب عواصف التاريخ**، مجلة الموقف الثقافي، بغداد، العدد40، 2002، ص 07.

[4]- يوسف الحوراني، **الإنسان والحضارة**، دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط، ص227.

كما يرى توينبي أن قانون التحدي والاستجابة هو قانون تحول المجتمعات من الحالة البدائية المتوحشة إلى الحالة الحضارية، وتحول من الركود إلى الحركة الدافعة.[1]

ولكن من ناحية أخرى فإن توينبي لا يدعي أنه مبدع نظريته المسماة التحدي والاستجابة بل يعيد أصولها وجذورها على الفكر الصيني القديم حيث وردت في كتاب التغيرات للفيلسوف الصيني(ون وانج) الذي اخترع التثاليث الرمزية التي ترمز لعلوم ما وراء الطبيعة وتعبر عن عناصرها وقوانينها، ولكل واحد من هذه التثاليث ثلاث خطوط يتألف منها بعضها متصل ويمثل عنصر الذكورة أو اليانج "Yang" وبعضها منقطع ويمثل عنصر الأنوثة أو الين"Yin". يمثل اليانج في هذه الثنائية الرمزية العنصر الإيجابي الفعال السماوي كالضوء، الحرارة، الحياة...الخ، ويمثل الين العنصر السلبي المنفعل الأرضي كالظلمة، البرودة، الموت...الخ.والحقائق كلها يمكن ردها إلى تعارض واتحاد العاملين الأساسيين في الكون الذكورة والأنوثة أي اليانج والين.[2]

من خلال المعنى والشرح السابق نجد أن توينبي أعاد أصول هذه النظرية إلى حكماء الصين بخيالهم الخصيب حيث أنهم أول من أطلق على هذا الترديد المتعاقب بين الركود والحركة اصطلاحي الين واليانج، فالين هو الركود واليانج هي الحركة الدافعة. ونظرية التحدي والاستجابة هي ذلك الإيقاع المتعاقب لحركة التاريخ من الجمود إلى الحركة ومن السلبية إلى الإيجابية.[3]

إن العلاقة بين مفهوم التحدي والاستجابة هي علاقة طردية وهي تتخذ إحدى الصور الثلاثة التالية:[4]

1-قصور التحدي يجعل الطرف الآخر عاجزا تماما عن استجابة ناجحة.

2- يحطم التحدي البالغ الشدة روح الاستجابة في الطرف الآخر.

3-يصل التحدي إلى درجة معقولة تستثير الطاقات المبدعة في استجاباتها لذلك التحدي وهذه وحدها الاستجابة الناجحة.

وخلاصة القول وإجمالا لما سبق ذكره يمكن أن نقول بأن نظرية التحدي والاستجابة هي من أهم النظريات المساعدة على نمو الحضارات وارتقاء المجتمعات. فالتحدي هي أن يتحدى الإنسان إما ظروف طبيعية كالمناخ، قساوة العيش، منطقة حارة، منطقة باردة ، ثلجية، جافة،...والاستجابة هي قدرة هذا الشعب على رد الفعل أي الاستجابة لمتطلبات ما يعرض ويستلزم عليه من ظروف جغرافية وإنسانية.

---

[1]-أرنو لد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**، جزء 1، ص55.

[2]- ول ديورانت، **قصة الحضارة:الشرق الأقصى الصين**، ج 4، م1، دار المعارف، 1988، ص 27.

[3]- علي حسين الجابري، **فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر**، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د ط، 1993،ص20.

[4]-رأفت الشيخ، **تفسير التاريخ**، دار الثقافة، القاهرة، د ط، 1988، ص 192.

المبحث الثاني: أنواع التحديات وأنواع الاستجابات

إن الإنسان ومن خلال بناءه للحضارات ومحاولته للارتقاء بالمجتمعات من أجل التطور والازدهار تواجهه مجموعة من المواقف والمشكلات والتحديات هذه التحديات تفترض عليه بالضرورة إلى التطور والنهضة وقد قسم توينبي التحديات والاستجابات إلى أنواع يجب التطرق إليها في ما يلي:

أولا:أنواع التحديات

1-التحديات الأسطورية:

مما لاشك فيه أن أثر الدين المسيحي قد رأيناه سالفا عند توينبي وخاصة من خلال تأثره بالقديس أوغسطين[1] وهذا القول إن دل على شيء فإنما يدل على أن توينبي قد استعمل الجانب الديني لنظريته حيث نلاحظ أن توينبي قد بين وأكد على قيمة نظريته (التحدي والاستجابة) وأثرها في نشوء الحضارات.

كما يرجع أصول هذه العلاقة إلى التراث الديني الأسطوري، حيث تتخذ الشواهد على ما كان للتحديات من أثر بالغ الأهمية وفي شتى مناحي الإبداع والارتقاء والتكامل.ففي سفر التكوين يذكر توينبي أن هذا السفر يشكل تحدي الحية للرب الإله-العقدة- في قصة سقوط الإنسان الأول وجهاده الخلاق يقول توينبي:إن الالتقاء بين شخصيتين فوق مستوى البشر هو مدار طائفة من المآسي العظمى التي تصورتها المخيلة البشرية فالالتقاء بين ياهوى* والحية هو موضوع قصة سقوط الإنسان في سفر التكوين....كذلك الالتقاء بين الرب والشيطان هو موضوع سفر أيوب والالتقاء بين الرب ومافيستوفيليس*. [2]

يتضح من هذا القول ومما سلفنا ذكره أن بدء الحضارات لم يكن نتيجة العوامل البيولوجية أو البيئة الجغرافية، كل تعمل بمفردها، فلا ريب أنه نتيجة نوع ما من التفاعل بينها جميعا، وبعبارة أخرى ليس العامل الذي نسعى للتعرف عليه شيئا مفردا لكنه متعددا وهو ليس وحدة، ولكنه علاقة وعلينا أن نختار بين تصور هذه العلاقة بين قوتين غير بشريتين أما في العهد الجديد يتحدى إبليس ياسوع وتكون الإنسانية قصة خلاص، وفي سفر أيوب يكون تحدي الشيطان للإله العقدة في قصة الرجل الكامل المستقيم، وإذا انتقلنا من العهدين القديم والجديد إلى أسطورة فاوست لوجه نجد الحوار قائما على الرهبان بين الله والشيطان، وزعم الشيطان أنه يقدر على إغراء ذلك

---

[1]- شيخاوي لخضر، **التفسير الحضاري للتاريخ عند أرنو لد توينبي**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف،المسيلة،2017/2016،ص55

***ياهوى**: أقدس الأسماء التي يطلقها العهد القديم(التوراة) على الرب ويعتقد اليهود أنه إلههم وحدهم.

***مافيستوفيليس**: شيطان جوتا الأديب الألماني.

[2]- أرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**، ج1، ص 102.

العالم الجديد فاوست وتحويله من حب الله، كما يذكر توينبي رأي الفلكي الكبير(السير جيمس جينفر) في كتابه الكون العجيب حيث فسر هذا الأخير أن نشوء الأرض كان منذ حوالي ألفي مليون سنة باستخدام شمسي في الفلك .[1]

إنما أوحى بفكرة التحدي والاستجابة عند توينبي هو مطالعتها للعهد القديم(إذ تسيطر عليها فكرة شاملة واحدة مدارها أن التاريخ بمجمله مجموعة من الأفعال يبرز فيه الله تحديا للبشر أفرادا وجماعات لهذا فإن توينبي لم يبلور هذه الفكرة بطريقة عقائدية بل جردها تماما من كل ما هو ديني اعتقادي إلى رمزية واضحة التأويل. ولعل أكبر دليل على ذلك هي ما ذكرناه سابقا أسطورة فاوست الذي وجدنا في هذه القصة حوار بين الشيطان والرب وترمز هذه الأسطورة إلى الخروج من الجنة أي الانتقال من السماء (الجنة) إلى الأرض(الواقع) وهي تجربة ناجمة عن قبول تحدي الشيطان ممثلا في صورة حية ونلمس هذا التحدي أيضا حتى في قصص القرآن عندما تحدى قوم موسى الدعوة إلى الإسلام باتخاذهم عجل لعبادته بدل الله تعالى باعتبار أن العجل كان مقدسا في بلاد الرافدين والهضبة الإيرانية.[2]

ولكن هذا يعد تحدي فاشل ولم ينجع إذ يقول الله تعالى "واتخذ قوم موسى من بعدهم من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يرو أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين".[3]

2-التحديات الطبيعية:

إن تحديات البيئة الطبيعية القاسية، والظروف الطبيعية الشاقة التي تواجه الإنسان، تدفعه إلى تغيير موطنه أو تعديل بيئته وذلك للاستفادة من خيراتها في الحفاظ على وجوده أولا ولبناء حضارته فيها ثانيا فالحضارة الحقيقية هي التي قامت من خلال مواجهتها لمصاعب الطبيعة المختلفة. كما يجب على الإنسان أن يكون دائم الاستعداد لإعطاء استجابة صحية لهذه الصعاب ومهما كانت الاستجابات ناجحة كانت عبارة على أن الإنسان يسخر الطبيعة لخدمته.أي أن تحديات البيئة الطبيعية لها علاقة كبيرة في نمو الحضارات ويقسم توينبي تحديات البيئة إلى قسمين بوصفهما حوافز أو دوافع تستثير في الإنسان قوى الإبداع وتحفزه إلى إنشاء الحضارات من خلال تقديم الحلول والاستجابات المناسبة لها وهذان الحافزان هما:

[1]- آمنة تشكو، **مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،د ط، 1981، ص74.

[2]- سهيل زكار، **التوراة**، دار كتيبة، بيروت،،2007، ص28.

[3]-سورة الأعراف، الآية:148.

أ-حافز البلاد الشاقة(الأرض الصعبة): وهي الأرض أو البيئة المناخية القاسية ويورد توينبي مثالا على ذلك في قوله:" لقد ازدهرت الحضارة في مناطق سوريا الجرداء، لا في مناطقها الخصبة، كذلك كانت دلتا النيل مغطاة بالمستنقعات والأدغال فعدل المصري القديم فيها حتى صلحت لقيام حضارة فالظروف الصعبة لا السهلة هي التي تستحث الإنسان على التحضر".[1] أي أن الظروف الصعبة تكون دافع لأن يطور الإنسان قدراته لاستغلالها من أجل بناء حضارته فالحضارة المصرية هي هبة المصريين وليس هبة النيل وتتمثل الظروف الصعبة إما في بيئة طبيعية أو ظروف بشرية تستحث البيئة الطبيعية القاسية الإنسان على تغيير موطنه أو تعديل بيئته أما الذين عزفوا عن تغيير موطنهم أو تعديل طريقة معيشتهم فإن الانقراض هو جزاء إخفاقهم في الاستجابة لتحدي الجفاف ويعتبر هذا الحافز تحد قاس وفي نفس الوقت خلاق يستفز طاقات الإنسان لتطوير ذاته مثله مثل حالة كل الشعوب التي صنعت حضارات فطورت آلاتها المعرفية والعملية.[2]

ولكن ليس وجود هذا الحافز شرطا كافيا لقيام الحضارة فمثلا سكان الإسكيمو، الذين لم يعدلوا بيئتهم الطبيعية ولم يهاجروا منها لم يستطيعوا إقامة أي حضارة تثبت وجودهم على مسرح التاريخ.

ب-بحافز الأرض الجديدة (الأرض البكر):يرى توينبي أن تاريخ معظم الحضارات،يبين أن ذروة ازدهارها كان في تلك المناطق الجديدة التي لم تكن من قبل موطنا لأحد من الناس ، وذلك لأنها تبرز استجابات أشد حيوية من الأرض التي سبق اقتحامها بالفعل وشغلها مقيمون متحضرون من قبل ، ويقدم لنا الحضارة الهندية مثالا على ذلك"فبتحولنا للحضارة الهندية يمكننا أن نعين المصادر المحلية لعناصر إبداع جديدة في الحياة الهندية ،وبخاصة في الدين الذي كان مركزا للنشاط في المجتمع الهندي ، ونجد تلك المصادر في الجنوب حيث تجسدت الصورة المميزة للهندوسية في الجنوب ، فتمثلت عبادة الآلهة في المواضيع المادية أو المتخيلة ، وكانت العلاقة العاطفية الشخصية للعبد بينه وبين الإله الذي يعبد ميتافيزيقية وعاطفية لنظام لاهوتي عقلي معقد .....فهل كان جنوب الهند أرضا قديمة أم جديدة أنه كان أرضا جديدة".[3]

وخلاصة القول إن الأرض الشاقة والموطن الجديد يشكلان تحديين يستثيران قوى الإبداع في الإنسان ،أما الذين عرفوا عن تغيير موطنهم أو تعديل طريقة معيشتهم ،فإن الانقراض سيكون جزاء إخفاقهم في تحقيق

[1]- أحمد محمود صبحي،**في فلسفة التاريخ**، مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية، د ط، 1975، ص 268.

[2]- جاسم سلطان، **أداة فلسفة التاريخ**، سلسلة أدوات القادة، د ط، ص 44-45.

[3]- جمعة علم الدين نيفين،**فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي**، ص120

الاستجابة الناجحة للتحديات الطبيعية التي تواجههم وهذا ما يؤكد لنا أن توينبي قد أعطى للفعالية الإنسانية الدور المحوري والرئيسي في توليد الحضارات.

3-التحديات البشرية:

يقول توينبي " أما تحدي الوسط البشري فيتمثل في عدوان خارجي من دولة مجاورة أو جماعة بشرية. قد يتخذ العدوان شكل غزو خارجي أو قد يكون تهديدا مستمرا بشكل قوة ضاغطة على المجتمع، غزو الحضارة الهيلينية أدى فيما بعد إلى إزاحة الإسلام لها من سورية إلى مصر ثم القضاء على الدولة الرومانية الشرقية والضغط المتصل من قبائل النوبة والجنوب وقبائل ليبيا في الغرب بين الألف الرابعة والثانية قبل الميلاد كان حافزا لقيام الحضارة المصرية القديمة واستمرارها".

ويقسم توينبي التحديات البشرية أو ما يصطلح عليها بتحديات البيئة البشرية مثل عدد السكان ونوعهم وثقافة المجتمعات وطبيعتها إلى ثلاثة حوافز أي أنها تحفز وتدفع الإنسان إلى الاستجابة وهي فيما يلي:

أ-حافز الضربات: يقول توينبي في كتابه مختصر دراسة التاريخ واصفا هذا الحافز بقوله:" إن الهزيمة الساحقة الفجائية كفيلة باستثارة الجانب المهزوم لترتيب نظام داره والاستعداد لتحقيق استجابة منتصرة".[1] والمقصود بالضربات الكوارث الحزينة أو الهزائم العسكرية الفجائية. ويرى توينبي أن الهزائم الساحقة والمفاجئة كفيلة باستثارة الجانب المهزوم لترتيب بيته من الداخل، والاستعداد لتحقيق استجابة مناسبة يحقق من خلالها النصر المطلوب، أو يمكن أن نسميه تحد لاق يستفز طاقات الإنسان ولكنه قادر على تطوير آليات للتغلب عليه مثل ما حدث في 05 أوت 1945 حيث استفاق العالم على أبشع كارثة شاهدتها البشرية في تاريخ حروبها الطويل.حيث ألقيت قنبلة ذرية على مدينة هيروشيما فدمرت المدينة وبعد أربعة أيام لحقتها مدينة ناكازاكي بنفس المصير.[2]

ب-بحافز الضغوط: والمقصود بالضغوط الضغوط الخارجية أو تلك التحديات التي تأتي من الخارج، ويرى توينبي أن الشعوب التي تشغل مواقع حدود وتتعرض لعدوان متصل، تظهر إستطالة أشد إشراقا من جيرانها أصحاب المواقع المحمية، ويضرب مثالا على ذلك فيقول:"كان العثمانيون الواقعون تحت ضغط حدود الإمبراطورية الرومانية

[1] -أرنو لد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**، ت فؤاد محمد شبل، ج4، المركز القومي للترجمة، 2006، ص 261.

[2] -محمد زياد كبة، **القنبلة في التاريخ**، مجلة الفيصل، السعودية، العدد100، دار الفيصل الثقافية، جويلية 1985، ص134.

الشرقية في موضع أفضل من القرمانيين القاطنين شرقهم وكانت للنمسا حياة جارية أفضل من حياة بافارايا بفضل تعرض النمسا باستمرار لعدوان الأتراك العثمانيين".[1]

ج–حافز النقم: يشير هنا توينبي إلى التحدي الداخلي الذي يحدث داخل جزء فقط من الكيان الاجتماعي، فيصاب الجزء بفقدان القدرة على مواجهة ذلك التحدي، وعندئذ نجد هذه المجموعة البشرية توجه قدرتها لمجال آخر فتبدع فيه.وما برحت الشواهد التاريخية تطلعنا على طوائف وشعوب عانت طوال قرون صنوفا مختلفة من النقم، أنزلنها بها طوائف وشعوب كانت لها السيادة عليها.وتستجيب بصفة عامة الطوائف والشعوب التي أصابها النقم لتحدي الحرمان من المشاركة في فرص ومزايا معينة بإبراز طاقة استثنائية وإظهار أهلية غير عادية في الاتجاهات المفتوحة ومثلها في هذا الشأن مثل الأعمى الذي تقوي لديه حاسة السمع قوة خارقة وكان الرق أثقل تلك النقم.بيد أنه انبعث خلال القرنين السابقين للميلاد.من حشود الأرقاء الذين استجلبوا إلى إيطاليا من الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط طبقة من المعتوقين أحرزوا نفوذا يعمل لها حساب، ومن عالم الرق هذا ظهرت العقائد الدينية الجديدة للبروليتاريا الداخلية وكانت المسيحية من بينها.[2]

والشكل الموالي يوضح لنا ما تطرقنا إليه سابقا من أنواع التحديات :

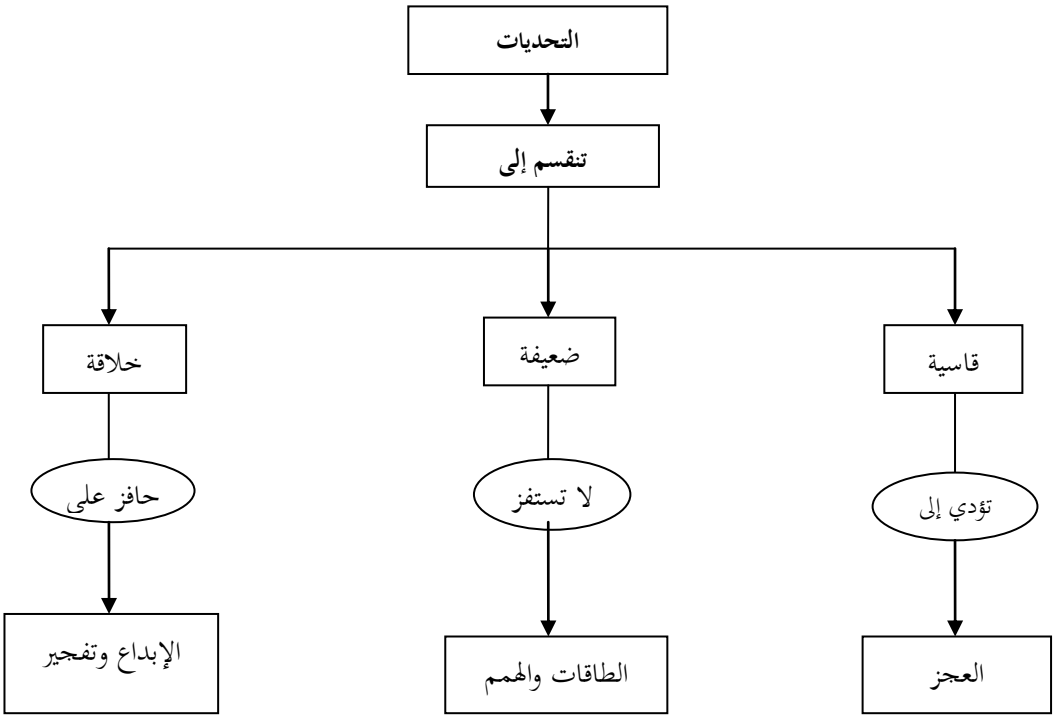

[1]– أرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**، ج4، مرجع سبق ذكره ،ص 261.

[2]–زياد عبد الكريم نجم، **توينبي ونظريته التحدي والاستجابة**، مرجع سبق ذكره،ص101.

ثانيا: أنواع الاستجابات

يفسر توينبي نشوء الحضارات الأولى أو كما يسميها الحضارات المنقطعة من خلال نظريته الشهيرة التحدي والاستجابة وقد استوحى فكرة التحدي والاستجابة في سير التاريخ ونشوء الحضارات بتأثره بأفلاطون وشيكسبير وملتون وبرغسون....الخ.[1]

وقد ذهب توينبي بالقول إلى أن الفرد قد يتعرض لصدمة قد يفقد توازنه لفترة ما ثم قد يستجيب لها من خلال سلسلة من الاستجابات فاشلة كانت أم ناجحة والتي تعترض طريق النهضة وقد سميت هذه الوسيلة التي تساعد على تحقيق الاستجابة بالوسط الذهبي.[2]

وقد أعطى مثالا عن هذه الاستجابات فمعظم التحديات التي ثارت بين الشعوب استثارت في النهاية باستجابة فالتحدي الذي قام به المجتمع السوريانى كرد فعل على المجتمع الهيليني أمكنه من طرد الهيلينية من العالم السرياني وهذا بفضل الإسلام الذي زود المجتمع بديانة ناشئة من صلبه فأمكنه بعد خمود الحيوية في الحضارة السريانية أن يطرد شبح الفناء التي أرقها فاستعادت ثقتها بأن تكون حضارة عميقة بل أصبح الإسلام هو الشريحة التي خرج منها فيما بعد المجتمعان الجديدان العربي والفارسي.[3]

بهذا الصدد يقول توينبي:" وإن غايتنا الآن أن ننظر في أنواع رد الفعل أو الاستجابة التي استثيرت في مجتمعات واجهت التحدي وأن نبوب هذه الأنواع".[4] وبهذا فقد قسم توينبي الاستجابات وردود الأفعال إلى قسمين: استجابات ناجحة واستجابات فاشلة.

1-**استجابة فاشلة:** وهي تؤدي إلى التخلف، وهي حالة لها أعراضها الداخلية متمثلة في الفوضى والتخبط، ولها أعراضها الخارجية المتمثلة بحدة في اعتماد الأمة على الغير في مأكلها ومشربها وحمايتها، بل وحتى في فكرها ونظمها.إنها حالة من الإستيلاب للآخر وهي حالة بها كل مقومات القابلية للاستعمار على حد تعبير مالك بن نبي بقوله:" بأن معامل القابلية للاستعمار يؤثر في حياة الفرد في جميع أطوارها إذ لا يمد المجتمع بما يقوي جسده وينمي فكره".[5]

---

[1] -خطاب صدقي عبد الله، أرنو لد توينبي، **مجلة عالم الفكر**، الكويت، المجلد5، العدد1، 1974، ص 294.

[2] -أرنو لد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**، ج1، مرجع سبق ذكره،ص 499.

[3] Toynbee, Civilization on trialch.XIslam the west a the future,p180.

[4] -أرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**، ج2، ت فؤاد محمد شبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة،ص 393.

[5] -مالك بن نبي، شروط النهضة: مشكلات الحضارة، ت عبد الصبور شاهين،وآخرون، دار الفكر، دمشق ،ط4،1987،ص 147.

ويعطي توينبي مثالا عن الاستجابة الفاشلة التي تمثلت في استجابة الإسلام للتحدي الغربي والتي انبعث مظهرين مظهر التزمث ومظهر الشكل وباءت هذه الاستجابتين بالفشل ويعود السبب إلى الفشل أن كلتا الاستجابتين لم تقدم طاقات خلاقة صادرة عن روح أصيلة إضافة إلى عدم تقديمهما إسهاما إبداعيا في تيار الحضارة القائمة فهي عمليتا تقليد لا إبداع.

ولم تنجح كذلك الاستجابة اليهودية في عهد المكابيين في محاولتها الجريئة لتحرير الحضارة السوريانية وانتقمت روما وحل باليهود هزيمة ساحقة فيما بين عامي 66و 70. ولقد حاولت كل من النسطورية واليعاقبة على خلاف بينهما تخليص المسيحية من آثار الهيلينية كي تصاغ من جديد ديانة سوريانية خالصة ولكن الأمر قد انتهى على يد الكنيسة الرومانية الشرقية بطرد الساطرة شرقا إلى ما وراء الفرات واستقر اليعاقبة في سوريا ومصر وأرمينا والحبشة بين الطبقات الشعبية التي لم تكن متأثرة بالثقافة الهيلينية لقد أخفقت الاستجابات الأربعة إذن في التخلص نهائيا من التحدي الهيليني.[1]

2– **استجابة ناجحة**: وهذه الاستجابة يقصد بها أن يصل التحدي إلى درجة معقولة تستثير الطاقات المبدعة وهذه الاستجابة تشكل تحدي للطرف الأول(أي من حالة اللين –الركود– إلى حالة اليانج والقوة الدافعة). فتحدي الحضارة الهيلينية للمجتمع السوري يغزو الاسكندر وسيطرة الرومان مهدت المسيحية أن تدفع الدولة الرومانية لاعتناقها وحينما اعتنقها كان مذهبه مخالفا لمذهب الدولة المسيطرة فأدى هذا التحدي إلى استجابة ناجحة بعد ألف سنة تقريبا من غزو الإسكندر تمثل في قيام الإسلام.[2]

وتنقسم هذه المرحلة على حد توينبي إلى عدة أطوار:

–أ–الصحوة: هي إرهاصات لحالة جديدة تعتري مجتمعا ما، واضحة أحيانا ومشوشة أحيانا أخر. ولكنها صرخات الجنين الأولى وحركة من صحا من نومه فجأة ولكنه لم يفق بعد ويتنبه لمحيطه الخارجي بشكل سليم. فربما اصطدم بمقعد دون أن يقصد غير أن هذه الأخطار تزيده صحوا وتنقله للاستيقاظ الكامل وبالتالي فالصحوة إذن هي:" أولى مراحل انقشاع سحب التلبذ الذهبي وسنستخدمها هنا لوصف المرحلة الأولى في البعث الحضاري".

[1] –أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مرجع سبق ذكره ،ص 284–286.

[2] A study of history, ch 8,p p 160, 193.

ب–اليقظة: هي حالة تنقشع فيها بقايا الخمار العقلي ويعرف فيها المرء مكانه ووضعه بالنسبة لما يحيط به من أشياء وبشر فيكيف حركته ليسير بين عالم الموجودات المادية حوله وينظم علاقته بعالم البشر المحيط به. أعراضها الإيجابية هي الرشد والوعي والعمل المخطط المدروس.[1]

ج–النهضة: هي حالة تالية عندما ينظم عالم الأفكار ويقصد بها التصورات وإدراك العالم الخارجي ومجموعة المبادئ والصواب والخطأ والمشاعر والأحاسيس ويستيقظ عالم المشاعر والأحاسيس ويندفع فيه الإنسان متحررا من قيود الخوف ليمارس دوره في جميع المجالات. أعراضها الإيجابية هي استشعار الإنسان لذة العمل والاكتشاف والقوة فهي حالة تتخلل كل أشكال الحياة وتعطي للزمن قيمته من حياة الأمة وتمنح للتفوق والإبداع قدرهما.

د–الحضارة: وأخيرا تأتي الحضارة وهي حالة من بناء النموذج المنشود في عالم الواقع، متمثلا في نموذج فكري متقدم، وعالم علاقات وسلوك متقدم(ويقصد به الحياة الاجتماعية والمدنية والعلاقات المنظمة للأفراد والجماعات). وعالم من الإنتاج المادي الصناعي والمعماري والفني متقدم ويطلق عليه عالم الأشياء ويقصد به البنية المادية المحسوسة كالمصانع والمنازل والجسور وغيرها. يقول رينه ريمون في تأريخه عن الثورة الفرنسية التي لازلت عماد فرنسا الحديثة(الايخاء والمساواة والحرية):" فالثورة لم تكن على الدوام موفقة في إلهامها فقد كانت مشاريعها على الدوام طوباوية وأحيانا تراجعية قهقرية". ويقول في موضع آخر:" أوجبت الظروف أي المخاطر الداخلية والخارجية والمقاومة التي كان على الثورة أن تواجه بها العدوان الخارجي والحرب الأهلية القيام بتغيير كامل".

ومن هنا لكي يحقق الإنسان استجابة ناجحة لابد عليه طرق أبواب جديدة من الإبداع والنهوض والصحو من حالة الركود إلى حالة النهضة حتى وإن مر الإنسان بنوع من الفشل فلابد عليه من المحاولة والاستمرار. يقول روبرت شولر:" أفضل أن أغير رأيي و أنجح على أن أستمر على نفس الطريقة والفشل". ويقول أديسون:" العديد من التجارب الفاشلة في الحياة تكون عندما لا يدرك الإنسان أنهم كانوا قريبين من النجاح عندما استسلموا".[2]

[1] –حاسم سلطان، **فلسفة التاريخ**، الفكر الاستراتيجي في فهم التاريخ، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة،ط 4، 2010، ص ص 63-64.

[2] –المرجع نفسه، ص64-67.

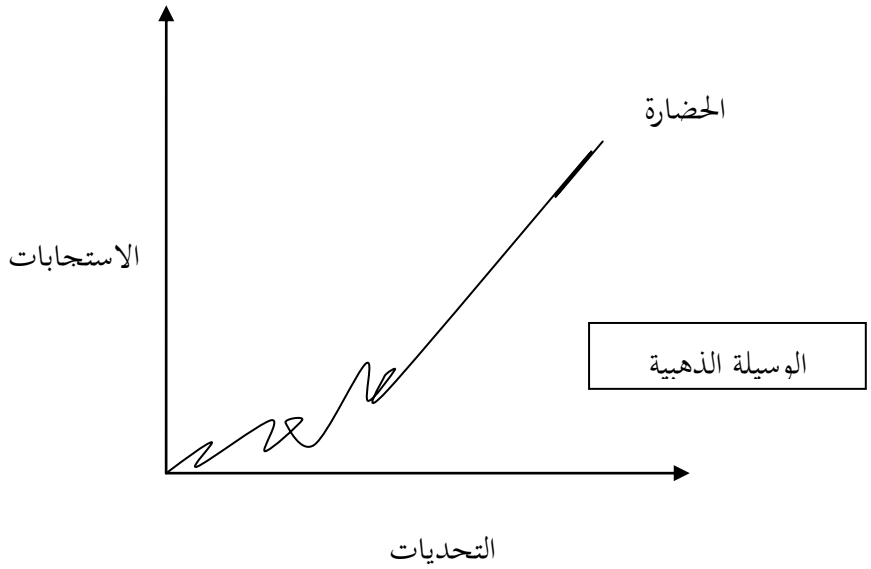
الحضارة
الاستجابات
الوسيلة الذهبية
التحديات

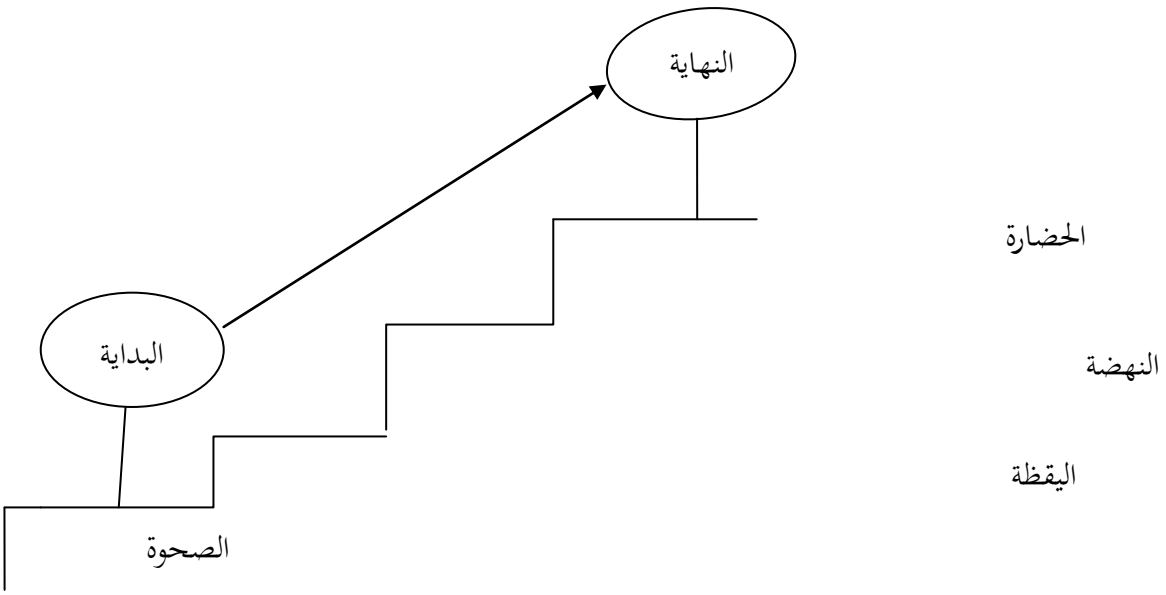
النهاية
الحضارة
البداية
النهضة
اليقظة
الصحوة

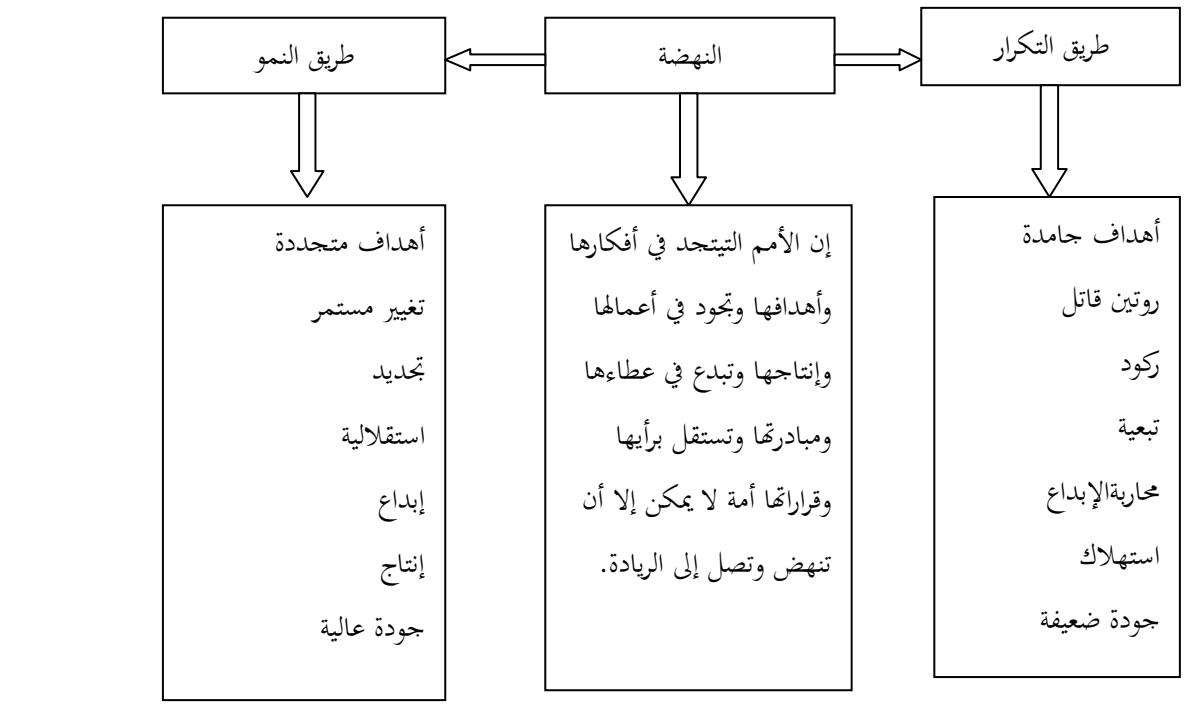
طريق النمو
النهضة
طريق التكرار
أهداف متجددة
تغيير مستمر
تجديد
استقلالية
إبداع
إنتاج
جودة عالية
إن الأمم التيتجد في أفكارها
وأهدافها وتجود في أعمالها
وإنتاجها وتبدع في عطاءها
ومبادرتها وتستقل برأيها
وقراراتها أمة لا يمكن إلا أن
تنهض وتصل إلى الريادة.
أهداف جامدة
روتين قاتل
ركود
تبعية
محاربةالإبداع
استهلاك
جودة ضعيفة

المبحث الثالث:الجانب النقدي والجانب الإيجابي من النظرية.

أولا: الجانب الإيجابي من نظرية التحدي والاستجابة:

يتمثل الجانب المثمر من نظرية " التحدي والاستجابة " عند توينبي في استخلاصه لأهم أفكارها وهي كالآتي:

1-فكرة الأبوة والبنوة:

وتعني هذه الفكرة أن بعض الحضارات وليدة حضارات أخرى سابقة عليها وبناء على ذلك يرى توينبي أن الحضارة الغربية الحديثة هي وليدة الحضارة الهيلينية(اليونانية والرومانية)، وكذلك الحضارة الإسلامية هي نتاج إندماج المجتمعين العربي والإيراني، وهما بدورهما وليدا المجتمع السوريانى، ومن خلال هذه الفكرة يوافق " صمونيل هنتنغتون " " توينبي " في أنه لا يمكن فهم جزء من الحضارة إلا بالعودة إلى الكل المشكل لهذا الجزء أي ضرورة الرجوع إلى الحضارات التي كانت كأب لهذه الحضارة.[1]

ومع ذلك فإن هذه الفكرة ليست قاعدة عامة تنطبق على كل الحضارات، حيث يرى توينبي أن هناك بعض الحضارات لا تنتمي بالبنوة إلى حضارات أخرى، كما أن هناك بعض الحضارات لا تجد من يأخذها كأب ويقدم لنا توينبي مثالا على ذلك الحضارة المصرية القديمة التي لم يكن لها أباء كما لم يكن لها أبناء حيث يقول:" ليس للمجتمع المصري سلفا ينتسب إليه كما أنه ليس له خليفة".[2]

وإذا وقفنا عند هذه الفكرة فسنجدها فكرة عامة ينقصها الكثير من الدقة فعلى الرغم من إقرارنا بأهمية التفاعل بين الحضارات، وأخذ الحضارات اللاحقة من الحضارات السابقة، إلا أنه يبقى لكل حضارة خصوصية معينة وسمات خاصة تنفرد وتتميز بها عن غيرها من الحضارات، كما أن لكل حضارة طابعها الخاص الذي تطبع به كل المنجزات الحضارية المعنوية والمادية المتولدة في ظل هذه الحضارات.

2-فكرة المدنية المقابلة للبدائية:

تقوم هذه الفكرة في رأي توينبي على أساس أن المجتمع هو وحدة الدراسة التاريخية القابلة للفهم، والمجتمع إما أن يكون مجتمعا بدائيا أو متدينا، وقد رأى توينبي أن وحدة الدراسة التاريخية هي

---

[1]-صامويل هنتنغتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، تر: طلعت الشايب،ط2،مصر،شركة السطور،1999م،ص70.

[2]-توينبي، مختصر دراسة التاريخ،ج3، ترجمة فؤاد محمد شبل، لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،ط1، 1964، ص ص3 ،4.

دراسة لمجموعة من البشر يطلق عليها اسم المجتمع، وبعد دراسته لمجموعة كبيرة من المجتمعات البدائية أكثر عددا من المجتمعات المدنية(الحضارية)، وأقدم وجودا، حيث أن عمر الحضارات برأيه لا يزيد عن ستة آلاف سنة، في حين أن هناك مجتمعات بدائية ترجع إلى ثلاث مئة سنة، وتتصف المجتمعات البدائية بصغر المساحة الجغرافية، وقلة عدد السكان، وقصر أجلها، إذ غالبا ما تكون نهايتها على يد مجتمع آخر متمدين أو متبربر.

3-فكرة أوقات الإضطراب :أما المجتمعات المتمدينة (الحضارية) فهي أقل عددا من المجتمعات البدائية وأوسع مساحة وأكثر سكانا من المجتمعات البدائية، يقول: " ولو إستطعنا إجراء تعداد لأفراد الحضارات الخمس التي لا تزال حية إلى وقتنا هذا، لكان من المحتمل أن نجد كل مجتمع من مجتمعاتنا الهائلة، يضم وحده عددا من البشر أعظم مما ضمته المجتمعات البدائية كلها معا منذ إنبعاث الجنس البشري "[1]وقد خلص توينبي بعد دراسته للمجتمعات إلى وجود إحدى وعشرون حضارة إندثرت ولم يبقى منها سوى خمس حضارات هي:

1-الحضارة المسيحية الغربية(دول أوروبا الغربية وأمريكا).

2-الحضارة المسيحية الشرقية(روسيا ودول البلقان).

3-الحضارة الإسلامية(العربية والإيرانية).

4-الحضارة الهندية(الهندوكية وبوذية الهينايان).

5-حضارة الشرق الأقصى(اليابان وكوريا).

3-فكرة أوقات الإضطراب:

ويعني توينبي بفكرة أوقات الإضطراب الفترة الفوضوية التي تأتي بين تآكل أحد المجتمعات وقيام مجتمع آخر، وفق مفهوم الأبوة والبنوة، ومن أبرز الأمثلة على هذه الفترة، العصور الوسطى المظلمة التي تقع بين وفاة الهلينية، وقيام مجتمع غرب أوروبا المسيحي، وهذه الفترة التي بلغ فيها العجز الهليني أقصى مداه، فلما زحفت جحافل البرابرة على هذا العالم وجدوه جثة هامدة تماما، ويشير توينبي هنا إلى الفترة التي تلت الغزو القبائل الجرمانية لروما.

[1]-أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ،ج1،ص59.

إذا هذه الفكرة تعبر عن المرحلة الفاصلة ما بين إندثار حضارة ما تمثل الأب، وبين ولادة حضارة أخرى، هي الإبن الشرعي للحضارة السابقة عليها،ولكن هذه الفترة قد تطول أو تقصر.

4-فكرة البروليتاريا الداخلية:

ويقصد توينبي بالبروليتاريا الداخلية عامة الشعب الذي يشكل الطبقة المحرومة من حقوقه الشرعية، والذين لا يشعرون بأي إنتماء إلى مجتمعهم اللهم إلا بأجسادهم فقط، وهذا ما يدفعهم للخروج عن مجتمعهم، وقد يقدر لهم أن يصبحوا العنصر المهيمن على هذا المجتمع.

وخير مثال على ذلك الجماعة المسيحية التي ظهرت في وسط المجتمع الهيلني وقت أفول شمس الهلينية.

"...والبروليتاريا الداخلية في حالة الهلينية هي الكنيسة المسيحية التي جعلت تتكون من تحت الأرض، حتى قدر لها أن تبتلع الإمبراطورية كلها، وأصل هذه الكنيسة نقل من المبشرين الوافد من الشرق، ومن جماعة العبيد وصيادي السمك ".[1]

يستخدم أرنولد توينبي لفظ البروليتاريا للدلالة على طبقة الدنيا من المجتمع في المدن والأرياف، والتي يقوم أفرادها بأدنى الأعمال البدنية، وأكثرها تطلبا للجهد والمعاناة مع قلة الأجر، وسوء الحال، وتتألف هذه الفئة من الناس من الأجانب المهاجرين إلى الدولة أو المستجلبين من خارجها للقيام بهذه الأعمال، ويدخل في هذه الفئة النازحون من الأرياف إلى المدن للرزق، وتعمل هذه الفئة في تنظيف الشوارع والمجاري وتنظيف المستنقعات وحمل الأثقال...الخ،هذه هي البروليتاريا الداخلية كما يراها توينبي.

5-فكرة البروليتاريا الخارجية:

فإن البروليتاريا الخارجية تبرز للوجود مع بدء إنهيار الحضارة، وذلك عندما يحدث الإنشقاق ما بين البروليتاريا الداخلية والأقلية المسيطرة في حضارة آلت إلى الزوال ويصبح المكون الإجتماعي للحضارة الآيلة للإنهيار كالتالي:

أ-أقلية مستبدة ومسيطرة فقدت قدرتها على الإبداع، وأصبحت تحكم بالحديد والنار.ب

ب-بروليتاريا داخلية مقموعة وذليلة، ولكنها تنتظر الفرصة للثورة كالنار تحته الرماد.

ج-بروليتاريا خارجية، إنشقته عن المجتمع، وتقاوم الإندماج فيه، وتنتظر الفرصة للغزو.

[1]-عبيد اسحاق،معرفة الماضي من هيرودت إلى توينبي،دار المعارف،القاهرة،1981م،ص123.

إن التفسير لأسباب وجود البروليتاريا الخارجية وإجتياحها الحدود الرومانية، يسوقه أرنولد توينبي في أنه عندما تتوقف عن الإمتداد خط حدود بين مجتمعين، أحدهما عال في درجة التمدن، والأخر أقل مدنية، لا يبقى الخط على حالة من الثبات بل يتحول بمرور الوقت في مصالح المجتمع المتأخر، ومعنى ذلك أن الشعوب البدائية أو ذات المستوى الحضاري المنخفض، لا تصبر على مشاهدة مظاهر الحضارة المتقدمة قريبا منها، وفيها ما فيها من مظاهر الثراء والتقدم، وكأن توينبي يقصد هنا أن البروليتاريا الخارجية تعاني من عقدة النقص تجاه المجتمعات المجاورة لها، والمتقدمة عليها حضاريا، وهذا أهم أسباب نقمتها عليها،وهذا ما يجعلها تتربص بها وتنتظر الفرصة للالمنخفض، لا تصبر على مشاهدة مظاهر الحضارة المتقدمة قريبا منها، وفيها ما فيها من مظاهر الثراء والتقدم، وكأن توينبي يقصد هنا أن البروليتاريا الخارجية تعاني من عقدة النقص تجاه المجتمعات المجاورة لها، والمتقدمة عليها حضاريا، وهذا أهم أسباب نقمتها عليها،وهذا ما يجعلها تتربص بها وتنتظر الفرصة للإنقضاض عليها وتدميرها، إن إستطاعت إلى ذلك سبيلا.

6-فكرة الدولة العالمية والكنيسة العالمية:

يعتبر توينبي أن الدولة العالمية، ظاهرة أساسية من الظواهر التي تنشأ عقب إنهيار حضارة ما، وتكون مهمتها على نحو دقيق حينذاك، هي تحقيق الوحدة السياسية لكيان الحضارة الإجتماعية وهنا تتبع الدول سياسة الوفاق الإجتماعي بغية القضاء على نوعي الإنقسام في المجتمع المتحلل، فتعمد إلى إنهاء الإنقسام بين الأقلية المسيطرة، وكل من البروليتاريا الداخلية والخارجية، إلى جانب محاولتها أيضا إقامة علاقات مع الحضارات الأخرى وتظهر هذه الفكرة كما يعتقد توينبي " في مفهوم المؤسسات التي تضم في جنباتها كل مناحي الحياة السياسية والدينية للمجتمع الذي تقوم فيه هذه المؤسسات ".[1]

-إذا أهم ما تتيحه الدول العالمية هو فرصة قيام الأديان العالمية من خلال البروليتاريا الداخلية والتي لا نعمل في المجال السياسي، بل تعمل في المجال الديني.

ويقول توينبي في ذلك:" وظاهر أن الأقليات المسيطرة، هي التي أنجبت الفلسفات التي ألهمت إنشاء الدول العالمية وقتا ما، ونشأت عن البروليتاريا الداخلية، الأديان السامية التي ر إلى التطور إلى

[1]-غنيمي الشيخ، رأفت،فلسفةالتاريخ،دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة،1988م،ص188.

عقائد دينية عالمية ونشأت عن البروليتاريا الخارجية، عصور البطولة التي هي ملاحم عصابات الحرب المتبربرين وظاهر أن هذه المراحل والنظم، تؤلف بوجه الإجمال رباط الأبوة والبنوة بين حضارتين ".

ومن الملاحظ أن فكرة الأبوة والبنوة، هي فكرة أساسية في نظرية التحدي والإستجابة، ولعل أغلب أفكار هذه النظرية ترتكز على هذه الفكرة المحورية.

ومن أهم مظاهر الدولة العالمية ما يلي:

-المظهر الأول: تبعث الدولة العالمية بعد إنهيار الحضارة، لا قبله، وتتولى هذه الدولة تحقيق الوحدة السياسية لكيان الحضارة الإجتماعي.

-المظهر الثاني: تبعث الدولة العالمية عن الأقليات المسيطرة وهي أقليات فقدت طاقاتها الإبداعية السابقة.

-المظهر الثالث: يعتبر إنبعاث الدولة العالمية تعبير " عن لم الشعث " إبان عملية التحلل التي تمارس فعلها برأي توينبي في صورة خفقات من (كسرة ونهضة ثم كسرة) والدولة العالمية تضع حدا لعصر الإضطرابات، وهذا ما يجعل الدولة العالمية تقوم بفعلين متابينين،فهي من جهة ظاهرة من ظواهر تحلل المجتمع، ومن جهة ثانية تسعى لكبح هذا التحلل ومناوأته.

7-فكرة المجتمعات التي كانت متمدنة ثم بادت أو تحجرت:

-يضرب لنا توينبي أمثلة لهذه المجتمعات التي كانت متمدنة ثم بادت أو تحجرت، كالحضارة السومرية والحضارة الحيثية و الحضارة البابلية والحضارة الأنديانية والحضارة المكسيكية والحضارة المصرية، فيرى توينبي "...أن الحضارة المصرية أم الحضارات التي عاشت ردحا من الزمن أطول من عمر أية حضارة أخرى عرفها التاريخ، فقد امتدت من الألف الرابع قبل الميلاد وحتى القرن الخامس للميلاد وحتى القرن الخامس للميلاد، وعلى هذا فإن مسافتها تبلغ ثلاثة أمثال مسافة الحضارة الغربية حتى يومنا هذا "[1]

وهذا يعني برأي توينبي أن الحضارة المصرية، هي بإحدى الحضارات التي كانت متطورة ثم تحجرت أو بادت، وبالتالي يعني ذلك أن الحضارة المصرية ليس لها غبن يرثها ويتخذ منها أبا بناءا على فكرة الأبوة والبنوة، وأنه لا يوجد اليوم من يمثلها من البشر، ولم يتبقى شيء من ملامحها العريقة، اللهم

[1]-غنيمي الشيخ،رأفت،فلسفة التاريخ،ص189.

إلا الأهرامات التي ما زالت ماثلة حتى اليوم، شاهدة على عظمة وعبقرية صانعي هذه الحضارة العظيمة.

ثانيا: الجانب النقدي من النظرية :

1- نقد نظرية وحدة الحضارة:

عمل توينبي على تفنيد نظرية وحدة الحضارة، والتي تعني أنه لا وجود إلا لحضارة واحدة فقط، هي الحضارة الغربية وأن كل ما قدمته الأمم السابقة من إنتاجات فكرية وإنجازات مادية، ما هي إلا روافد تصب في نهر الحضارة الغربية أو توابع تدور في فلكها، وقد صاغ هذه النظرية مؤرخون غربيون تحت تأثير محيطهم الإجتماعي وهي برأي توينبي، وهم راجع إلى سيادة الحضارة الغربية في المجالين الإقتصادي والسياسي، كما أن لهذه الفكرة برأيه ثلاثة خدورها.

أ -وهم حب الذات:

يراه توينبي أمر طبيعي إلى حد ما، يقول توينبي <وجماع ما يجب قوله هنا إن الغربيين ليسوا ضحاياه الوحيدين،إذ عانى اليهود كثيرا من وهم أنهم ليسوا شعبا مختارا فحسب لكنهم الشعب المختار الأوحد بين الشعوب [1]>،ولذلك نجدهم يطلقون على غيرهم من البشر لفظ (الأمميين)،كما أطلق اليونانيون على غيرهم من الشعوب لفظ (البرابرة)،والغربيون يطلقون على من سواهم لفظ (الوطنيين).

ب-وهم الشرق الراكد:

وهو وهم قائم على أساس ودراسات غير موضوعية من وجهة نظر توينبي، وسبب ذلك برأي توينبي يعود " إلى أن الشرق الذي يعني هنا أي بلد واقع بين مصر والصين،كان وقتا ما متقدما على الغرب كثيرا ويبدوا الآن متخلفا عنه بمراحل ومن ثم فبينما كنا نتحرك كان الشرق راكدا ".[2]

إذا ركود الشرق في مراحل معينة من التاريخ لا يعني ركودا دائما،فالغرب أيضا مر بمراحل من الركود مشابه للشرق.

ج-وهم التقدم كحركة تلتزم خطا مستقيما:وهذا الوهم يعتبره توينبي أنموذجا لذلك الميل إلى المغالاة في التبسيط الذي يظهره العقل البشري في كافة أوجه نشاطه، ومثله مثل تقسيم التاريخ إلى أطوار(قديم ووسيط وحديث).

[1]-توينبي،مختصر دراسة للتاريخ،ج1،ص61.

[2]-المرجع نفسه،ص61.

2- نقد نظرية الأجناس:

يرى توينبي أن المفاهيم التي تستند إليها هذه النظرية، مفاهيم بعيدة كل البعد عن الموضوعية، بل تميل مفاهيم هذه النظرية إلى الذاتية بشكل واضح، فأصحاب نظرية الأجناس يرون أن هناك مجموعة من الصفات الوراثية المميزة تنتقل عبر الجينات الوراثية من الآباء إلى الأبناء ويلتقي دعاة هذه النظرية حول نقطة جامعة لهم، مفادها أن التفوق الفكري مقترن بلون البشرة، فالسلالة ذات البشرة البيضاء والشعر الأشقر على تعبير الفيلسوف الألماني " نيتشه " هي السلالة الأكثر قدرة على تفكير وبالتالي الأقدر على صنع الحضارات لما تمتلكه من تفوق فكري وروحي، ورثته عن آبائها و أجدادها ولكي يهدم توينبي هذه المزاعم، إستعان بنتائج أصول السلالات البشرية، فتوصل إلى أن علماء أصول السلالات البشرية يقسمون الرجال البيض حسب صفاتهم البدنية إلى ثلاثة أجناس بيضاء أسمائها: الجنس الألبي،والجنسالنوردي وجنس البحر الأبيض المتوسط، ويوضح لنا كيف أن كلا من هؤلاء قد أسهم في بناء العديد من الحضارات فلقد أسهم النورديين في خمس حضارات هي: الهندية والهلينية والحضارة الغربية والمسيحية الأرثودكسية الروسية والحضارة الحيثية وأسهم الألبيون في سبع وربما في تسع حضارات هي: السومرية الحيثية، الهلينية، الغربية،المسيحيةالأرثودكسية الأصلية والفرع الروسي منها والإيرانية وربما المصرية والمينوية وأسهم سكان البحر الأبيض المتوسط في عشر حضارات هي: المصرية والمينوية والسورية والغربية والهلينية والمسيحية الأرثودكسية الأصلية والإيرانية والعربية والبابلية والسومرية.

أما بالنسبة لتقسيمات الأجناس البشرية الأخرى، كما إقتبسها توينبي من علماء السلالات البشرية،فقد أسهم الجنس الأسمر(يعني الشعوب الرافدية في الهند والملاويين في أندونيسيا) في إثنين، هما الحضارة الهندية والهندوكية وأسهم الجنس الأصفر في ثلاث حضارات هي: الصينية،وفي حضارتي الشرق الأقصى، وهما الحضارة الأصلية في الصين، والفرع في اليابان منها أما الجنس الأحمر في أمريكا، فقد ساهم وحده في الحضارات الأمريكية الأربع[1].

أما العناصر السوداء، فهي وحدها التي لم تساهم حتى الآن مساهمة فعلية إيجابية في أية حضارة.

وبعد إطلاع توينبي على هذه النتائج وإعاقة المقارنة فيما بينها توصل إلى عدة نتائج مفادها أن هناك شعوب كثيرة، مثلها مثل الشعوب السوداء، لم تسهم ببناء أية حضارة وكذلك فإن نصف الحضارات

[1]-قصد توينبي الحضارات الأمريكية القديمة وهي الآزتكوالآنكا والمايا والمكسيكية.

قائمة على أساس مساهمات أكثر من جنس واحد، وكذلك فإن النورديين لم يكونوا أكثر إسهاما من غيرهم في بناء الحضارات، وهذه الإستنتاجات التي قدمها توينبي تؤكد لنا رأيه بخطأ نظرية الأجناس، وبأنه لا أساس فيها للصحة أبدا.

"وهذا يعني أنه ليس هناك ما يبرر تلك النظرية بأن جنس ما هو الذي سببه الإنتقال من البدائية إلى الحضارة أو نقل العالم من الثبات إلى الحركة الدافعة في جزء من أجزاء العالم منذ زمن يرجع إلى ستة آلاف سنة ".[1]

3- نقد نظرية البيئة الطبيعية:

زعم أصحاب هذه النظرية أن نشوء الحضارات يعود إلى علة رئيسية واحدة، هي البيئة فالبيئة السهلة ذات المناخ الملائم للزراعة والإستقرار والتي تتوفر فيها المياه ومصادر الرزق، هي البيئة المناسبة وهي السبب المباشر والوحيد الذي يستحث الأمم على بناء الحضارات وتطويرها في حين أن البيئة الصعبة تقف عقبه في طريق ولادة الحضارات ونموها.

أما توينبي فقد سعى إلى إثبات خطأ هذه النظرية من خلال إستقرائه لمجموعة من الحضارات في مناطق مختلفة من العالم ومقارنته ببيئاتها الطبيعية المتباينة، وتوصل من ذلك إلى خطأ هذه النظرية ورأى أنه ليس من الضروري أن تكون البيئة السهلة سببه في إنبثاق الحضارة إلى خير الوجود، وضرب عدة أمثلة ليبرهن على صحة ما ذهب إليه" إذا كان نهر النيل علة الحضارة المصرية القديمة فإنه يجب أن تنشأ الحضارات في بيئات من الطراز النيلي، وإذا كانت حضارة ما بين النهرين تؤكد ذلك فإن عدم قيام حضارات في وادي الأردن تدحضها وإذا كانت بيئة الامازون قد أنتجت الحضارة الأندينية فإنه في نفس خط العرض ونفس الظروف البيئية غابات حوض الكونجو حيث لم تقم حضارة والحضارة الصينية سليلة النهر الأصفر، ولكن حوض الدانوب، مع التشابه في المناخ والتربة قد أخفق في إنجاب حضارة ".[2]

وأخيرا يمكننا القول بأننا لا يمكننا أن نعتبر عامل البيئة وحده سببه في نشوء الحضارات ربما يكون شرطا لازما ولكنه غير كاف، ولكن توينبي يذهب إلى ماهو أبعد من ذلك حيث أنه يقف على الموقف النقيض من نظرية البيئة، ويعتبر أن الظروف الصعبة لا السهلة هي التي تستحث الإنسان على

[1]-مصطفى النشار، فلاسفة أيقظوا العالم،دار قباء،القاهرة،ط3،1998م،ص364.

[2]-أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ،ص269.

صنع الحضارات،كما أن رقة العيش والظروف السهلة تقف حائلا في وجه قيام الحضارات، ويؤكد توينبي خطأ ما قاله " هيرودوت " قديما " إن مصر هبة النيل >،ويرى أن الحضارة المصرية هي هبة المصريين الذين صنعوها فدلتا النيل كانت مغطاة بالمستنقعات والأدغال والإنسان المصري القديم هو الذي إستصلحها وعدلها ليقيم عليها حضارته.

الفصل الثالث

مسيرة الحضارة بين التكون والانحلال

مدخل:

كتب توينبي حول مسيرة الحضارة من مولدها حتى انحلالها مستفيدا من كل ما توفر لديه من دراسات أنتربولوجية وتاريخية وجغرافية ودراسات مقارنة بين المجتمعات الإنسانية البدائية مهتما بذلك بدراسة الإنسان مستعينا بعقله الذي ميزه الله به عن سائر المخلوقات" وجعل وظيفته ووسيلته الفكر والتفكير وتلك كلها أركان الحضارة".[1]

وقد انطلق توينبي في فهمه للحضارة من خلال دراسة فهمه للتاريخ وهذا ما أفصح عنه عند سؤاله لماذا يدرس التاريخ بقوله:" إن المؤرخ يستجيب في دراسة التاريخ إلى نداء الله له بتتبع خلقه، بالسعي إلى معرفته تعالى، وإسهام المؤرخ في التراث الإنساني هو أن يقدم لنا صورة بابداع الخالق في حركته الدائبة".

كما يذهب صموئيل هنتغنون في كتابه "صدام الحضارات" إلى القول " أن التاريخ الإنساني هو تاريخ الحضارات ومن المستحيل أن نفكر بتاريخ الإنسانية، بمعنى آخر والقصة ممتدة عبر أجيال من الحضارة السومرية القديمة إلى المصرية إلى الكلاسيكية والأمريكية الوسطى والنتيجة أن أسباب و ظهور وصعود وتفاعلات وإنجازات وانهيار وسقوط الحضارات كان يتم استكشافها بواسطة مؤرخين وعلماء اجتماع...منهم "ماكس وبير" و "أزوالداشبنغلز" و " أرنو لد توينبي"...الخ.[2]

ومن خلال هذه المعطيات السابقة يعتبر" أرنو لد توينبي" من أبرز الفلاسفة الذين تناولوا مسيرة الحضارة وهذا ما دفعنا إلى طرح التساؤلات التالية والتي مفادها كالآتي :كيف كانت نظرة أرنو لد توينبي لمفهوم الحضارة من وجهة نظره؟ وماهي مراحل نمو الحضارة وارتقاءها ؟وماهي أسباب وعوامل انحلالها؟ وماهي أهم المقترحات الذي وضعها توينبي لإنقاذ الحضارات؟

[1]- فضل الله محمد اسماعيل، عبد الرحمن خليفة، **الايديولوجية وفلسفة الحضارة**، مكتبة بستان المعرفة، الاسكندرية، ط2، 2005ص 96.

[2]- صموئيل هنتغتون، **صدام الحضارات.إعادة صنع النظا1م العالمي مرجع سبق ذكره ص15**.

المبحث الأول: مفهوم الحضارة

أ- من الناحية اللغوية:

الحضارة من المفاهيم الفلسفية التي اختلف حولها المفكرون والعلماء سواء من حيث الضبط اللغوي أو الاصطلاحي. فهناك من يميز بين الحضارة والثقافة، وهناك من لا يضع خطا فاصلا بينهما وهذا يعود إلى اختلاف التصورات والمفاهيم من منظومة فكرية إلى أخرى، وحتى نبين حقيقة هذا المصطلح كان لابد لنا أن ننطلق من الضبط المفاهيمي اللغوي له ثم الاصطلاحي. وقد عدنا في ذلك إلى أشهر القواميس والموسوعات سواء في الفكر العربي الإسلامي أو الغربي.

وقد ورد في لسان العرب لابن منظور:" أن الحاضر هو المقيم في المدن والقرى وأن البادي هو المقيم في البادية والحضرة والحاضرة والحضارة خلاف البادية".[1]

ومن خلال هذا فإن مكان الإقامة هو من يحدد البادي من الحاضر.

أما في معجم اللغة:" الحضارة ضد البداوة والإقامة في الحضر أي الطباع المكتسبة من المعيشة في الحضر".[2]

أما الحضارة في معناها اللغوي عند جميل صليبا فيعرفها في المعجم الفلسفي على أنها :" ....فأما الحضارة بالمعنى الذاتي المجرد فتطلق على مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني المقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش".[3]

أما عن زمن ظهور الحضارة كمصطلح فيذكر" عبد المنعم حنفي" في معجمه الشامل أن كلمة حضارة يأتي استخدامها لأول مرة سنة 1704، بمعنى التمدن أي التخلق بأخلاق أهل المدن واللبس مثلهم وبهذا فقد جاء تعريفه للحضارة بقوله:" الحضارة فهي معنى يأتي بعد هذا التاريخ، باعتبار المدن حواضر جمع حاضرة وهي المدينة الكبيرة".[4]

وبالتالي فالحضارة هي حركة التمدن لكل المجتمع حسب مفهوم عبد الحنفي منعم.

---

[1] -ابن منظور، **لسان العرب**، م2، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 103.

[2] - أحمد رضا، **متن اللغة**، ج2دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958، ص 117.

[3] - جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979ص 476.

[4] - عبد المنعم الحنفي، **المعجم الشامل: المصطلحات الفلسفية**، مكتبة مديولي، القاهرة، مصر، ط3، 2000، ص 301.

وجاء في قاموس تاج العروس:" الحضارة محركة، والحضرة بفتح فسكون، والحضارة بالكسر عن أبي زيد، وبالفتح عن الأصمعي حيث يقول:"الحضارة بفتح الحاضر والحضرة هي المدن والقرى، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون بها قرار، والبادية يمكن أن يكون اشتقاقها من بدا، يبدو، أي ظهر وبرز، ولكنه اسم لزم ذلك الموضع خاصة دون سواه".[1]

كما تعني الحضارة عند "مراد وهبة" في معجمه الفلسفي:" الحالة المقابلة للبداوة والفطرة نطلق على جملة من مظاهر التقدم الأدبي والفني والعلمي والتقني التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات تشابهت".[2]أي أن أنماط وأشكال الحياة الاجتماعية في البادية تختلف عن كيفية العيش في الحضارة وأكبر دليل على ذلك هي تلك الوسائل والمظاهر الاجتماعية التي تحتويها الحضارة.

أما "أندري لالاند" فقد رأى أن الحضارة هي:" مجموعة ظواهر مركبة ذات طبيعة قابلة للتناقل تتسم بسمة دينية أخلاقية، جمالية، فنية، تقنية، أو عملية مشتركة بين كل الأجزاء في مجتمع عريض أو عدة مجتمعات مترابطة".[3]

وفي هذا المعنى يمكننا أن ننتقل إلى تعريف ابن خلدون للحضارة حيث فرق في مقدمته بين العمران البدوي والعمران الحضاري وفي هذا الصدد يقول:" ولاشك أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه ولأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه، فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما.ولكن نجد التمدن غاية للبدوي يجري إليها وينتهي سعيه إلى مقترحه منها".[4]

وإذا كانت البداوة عند ابن خلدون أصل الحضارة، فإن الحضارة عنده بهذا المعنى تلتقي مع لفظة المدينة وقد عرف جميل صليبا في معجمه الفلسفي المدني بقوله: " هو المنسوب إلى المدينة أو إلى الناس الذين يعيشون في المدينة".[5]

وكذلك استخدم ديورانت في مؤلفه قصة الحضارة:" المدينة والحضارة بمعنى واحد".[6]

---

[1] -محب الخطيب، **أبي الفيض السيد محمد الزبيدي**، تاج العروس، دار الفكر، ط 6، ص 268.

[2] -مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ص 280.

[3] -أندري لالند، **موسوعة لالند الفلسفية**، ت خليل أحمد خليل، المجلد 2،منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001، ص 172.

[4] -عبد الرحمن ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، ج1، ص 102.

[5] -جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979، ص 36.

[6] -ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج1، ت زكي نجيب محمود، لجنة التأليف، ط2، ،1956ص3.

كما عرفت الحضارة في الموسوعة الفلسفية بالمعنى اللاتيني بأنها مشتقة من المواطنة.[1]

ب–مفهوم الحضارة اصطلاحا:

تعددت التعريفات والآراء والنظريات بشأن التوظيف الموضوعي للحضارة، وبداية نقول أن الحضارة ظاهرة إنسانية عامة اختص الله تعالى بها الإنسان دون سائر الكائنات، لذلك قيل أن جميع الجنس البشري متحضر، وأن لكل شعب حضارته، ويأتي الفرق فقط في المستويات، وأنه من الخطأ أن نقول بأن هناك مجتمعا متحضرا ومجتمعا غير متحضر، أو أن هناك جماعات كاملة التحضر أو جماعات إنسانية على الفطرة تماما.[2]

فما مفهوم الحضارة؟ وما هو التفسير الموضوعي لها؟.

يرى حسين مؤنس أن الحضارة هي:" ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء كان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أو غير مقصود، وسواء كانت الثمرة مادية أو معنوية.[3]

ويعلق المفكر الإسلامي أبو الأعلى المودودي قائلا:" الحضارة نظام متكامل يشمل كل ما للإنسان من أفكار وآراء وأعمال وأخلاق في حياته الفردية أو العائلية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية ".[4]

ونجد:" ولد يورانت" يعرف الحضارة في مطلع كتابه قصة الحضارة بقوله:" نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافي، وهي تتألف من عناصر أربعة: الموارد الإقتصادية والنظم السياسية والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون". [5]

نلاحظ أن تعريف "ول د يورانت" قد اعتبر الحضارة نظام اجتماعي يلمس كل مظاهر المجتمع من اقتصاد وسياسة وتقاليد وأخلاق كما نذكر أنه لا يفرق بين المدنية والحضارة فقد اعتبرهما شيء واحد ويتبين ذلك من خلال الشمولية التي اتسم به تعريفه.[6]

---

[1] Paul Edzqrdsm the Encyclopedia of philosophy, v2, Macmillan publishing, Nez York, 1967,p273.

[2]– حسين مؤنس، **الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها**، مرجع سبق ذكره،ص 19.

[3]– محمد أحمد إبراهيم، **الحضارة الإسلامية**، مركز الإسكندرية للكتاب، الأزرابطة، دس ن، ص 12.

[4] –حبيب رزاق، مجلة الإسلام والحضارة: **الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها**، د ط، 1979، ص 288.

[5]– ول د يورانت، **قصة الحضارة**،مرجع سابق ص 2.

[6]– شيخاوي لخضر، **التفسير الحضاري للتاريخ عند أرنو لد توينبي**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة، إشراف: أرفيس علي، مسيلة،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2016-2017، ص 14.

أما تعريف الحضارة عند الفيلسوف الجزائري:" مالك ابن نبي" فيتخذ نوعين من التعريف : التعريف التحليلي والتعريف الوظيفي.

أ-التعريف التحليلي: وهذا التعريف شبهه بالمعادلة الرياضية إذ أن الحضارة هي إنسان زائد تراب ووقت.[1] كما اعتبر مالك بن نبي أن هذه العناصر لا يمكن أن تنتج حضارة وهي منفصلة عن بعضها كما يضيف إليها الفكرة المركبة وهي الدين فهو مركب القيم الاجتماعية.[2]

ب- التعريف الوظيفي: يعرفها بقولها:"فهي مجموعة من الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساندة الضرورية له في هذا الطور أو ذلك من أطوار نموه".[3] أي وظيفة الحضارة تقديم الحاجات الأساسية أو كما يسميها مالك بن نبي الضروريات.

والحضارة كما وصفها "هنتغتون" بأنها كيان ثقافي وتدل أحيانا على أنها تجمع ثقافي للناس وأوسع مستوى للهوية الثقافية للشعب ولا يسبقها إلا ما يميز البشر عن الأنواع الأخرى.[4]

ويعرف ديزموند الحضارة بأنها:" الخروج من مملكة علم البيولوجيا للدخول إلى مملكة الثقافة".[5]

الثقافة".[5]

أما مجمع اللغة العربية القاهرة فقد أقر بأن كلمة الحضارة ضد البداوة وهي من مراحل التطور الإنساني.[6]

ومن المفاهيم الأخرى للحضارة كما ذكرها عمار بدوي بأنها:" مجموعة من المحاولات البشرية للتفكير والاختراع والاستكشاف الخاص بالطبيعة الهدف منها الوصول إلى حياة أفضل، فهي في جميع النشاطات الإنسانية المرتبطة من نواحي مختلفة سواء كانت دينية أو دنيوية، مادية أو عقلية".[1]

---

* **مالك بن نبي(1905-1973)**: مفكر جزائري عكف على دراسة المشكلات الراهنة في العالم الإسلامي ومدى إمكان تطوره في المستقبل. من مؤلفاته: القضايا الكبرى، الصراع الفكري.

[1] - مالك بن نبي ،شروط النهضة مشكلات الحضارة،مرجع سبق ذكره، ص64.

[2] - مالك ابن نبي، **تأملات**، دار الفكر، دمشق، د ط، 2002، ص ص 200، 2001.

[3] - مالك بن نبي، **آفاق جزائرية**، مكتبة عمار، القاهرة، د ط، 1971، ص38.

*ضموئيل هنتفتون (1927-2008) أحد المفكرين الذين صمموا اللجنة الثلاثة ، من أهم مؤلفاته: كتاب صدام للحضارات.

[4] - صاموئيل هنتفتون، **صدام الحضارات**، مرجع سبق ذكره، ص ص 18-19.

[5] -حسن إبراهيم أحمد، **صدام المصالح وحوار الحضارات**، مؤسسة علاء الدين للطباعة، دمشق،ط 1، 2004، ص 9.

[6] -كريمة لطيف عبد الله،: **المعارضة الفكرية لنظرية صدام الحضارات** ، مجلة جامعة ديقار،المجلد 14،ج1،كلية الإعلام، 2019، ص177.

أما إذا انتقلنا إلى تعريف"ادوارد تايلور1834-1917" فنجده يلغي ذلك اللبس الكائن بين معنى الحضارة ومعنى الثقافة حيث يرى أن:" الثقافة أو الحضارة في معناها الأنتوغرافي الواسع تعني ذلك الكل المركب الذي يشمل المعارف والعقيدة والفن والأخلاق والقانون وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان". [2]

ويرى محمد عابد الجابري بأن الثقافة:" نمط حياة يجري اكتسابه اجتماعيا لا غريزيا، ويتم نقله بين الأجيال بالتعلم".[3]

أما د نصر حامد أبو زيد بصف المثقف بقوله:" هو الإنسان المنخرط بطريقة أو بأخرى في عملية إنتاج الوعي".[4]

وذكر الدكتور علي نوح عندما أعطى وصفا بأن الحضارة أو الثقافة بمعناها الأثنوغرافي الواسع هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل العادات التي يكتسبها الإنسان كونه عضو في المجتمع".[5]

لكن عبد الرحمن الغزاوي وضع عدة فروق بين المفهومين، فالحضارة تتشكل في العديد من الأنظمة السياسية وفي مجالات متعددة كالصناعات والعلوم. أما الثقافة تظهر جليا في العديد من المجالات كالفلسفة واللغات والعلوم الإنسانية وكذلك الأدب بصورة عامة. وتكون وصف عمومي يختص بالفرد، فقد جعل الثقافة إرادة وتصور أما الحضارة نتيجة نهائية وأثر ملموس.[6]

أما هنتغتون فقد أضاف الجانب الثقافي للصراع عندما اعتبر أن المصدر الأساسي للنزاعات في هذا العالم الجديد لن يكون مصدرا إيديولوجيا أو اقتصاديا في المرتبة الأولى، فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية والمصدر المسيطر للنزاع سيكون مصدرا ثقافيا.[7]

---

[1] -نقلا من عمار بديوي، **مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم**، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، 2005،ص ص9،13. .

[2] -فضل الله محمد إسماعيل، عبد الرحمن خليفة، **الايديولوجيا وفلسفة الحضارة**، مرجع سبق ذكره، ص 138.

[3] -محمد عابد الجابري، **قضايا في الفكر المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1997، ص 84.

[4] -نصر حامد أبو زيد نقلا من : حسن إبراهيم أحمد، **صدام المصالح وحوار الحضارات**، مؤسسة علاء الدين للطباعة، دمشق، ط1، 2004، ص 11.

[5] -علي نوح، **مقالة بعنوان العالم المعاصر في حوار أم صراع الحضارات**، مجلة المعرفة، ط1، العدد 473، ص 96.

[6] -عبد الرحمن الغزاوي،**تاريخ الحضارة العربية الإسلامية** ،عمان، الأردن، ط1، 2001، ص 134.

[7] -ادريس هاني، **المفارقة والمعانقة**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2001، ص 134.

وبالتالي فقد اختلفت وتعددت مفاهيم الحضارة بتعدد الفلاسفة والمفكرين، فالحضارة حسب مفهوم البعض وجدناها على أنها:" العادة التي يسير عليها الناس في حياتهم العامة والخاصة في قطر من الأقطار وفي زمن من الأزمان".[1]

في حين وجدنا أن الحضارة عند البعض هي:" محاولات الإنسان الاستكشاف والاختراع والتفكير والتنظيم، والعمل على استغلال الطبيعة للوصول إلى مستوى حياة أفضل وهي حصيلة جهود الأمم كلها".[2]

إضافة إلى أن الحضارة هي كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه.[3]فهي نظام اجتماعي يجمع بين العناصر المعنوية كالأفكار والعادات والأعراف والقيم والأذواق والأذواق والمشاعر والمفاهيم والعناصر المادية.[4]

وما أجمل الزمخشري في تحليل مفهوم الحضارة و هو يذكر الجانب الأخلاقي منها [5] فقال:" وقريش والأنصار وثقيف أهل حضر وهم أعرف بمكارم الأخلاق"[6]

فذكر الزمخشري بين التصرف الحسن، وكأن الحضارة في نظره سلوك وفعل وخلق وعمل.

ج–مفهوم الحضارة عند توينبي:

إذا عدنا إلى أرنو لد توينبي ومفهومه للحضارة فسنرى أنه قد استعمل عدة مفاهيم ليعني بها الحضارة ومن أهم هذه الكلمات والمفاهيم نجد:" مجتمع "، " مجتمعات " ،"حضارة " ، " حضارات " ، فالمجتمع من وجهة نظره " هو الشبكة الكاملة للعلاقات بين الأفراد"[7]

---

[1] –فروخ عمر، **العرب في حضارتهم وثقافتهم**، مجلد 1، دار العلم للملايين، ط2،د س ، ص 66.

[2] –شوقي أبو خليل، **الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة**، مجلد 1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق،ط2، 1996، ص 20.

[3] –إبراهيم سليمان الكروي، **المرجع في الحضارة العربية الإسلامية**، المجلد 1، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية،دط، 1999، ص 13.

[4] –الكيلاني إبراهيم زيد وآخرون، **دراسات في الفكر العربي الإسلامي**، المجلد 1، ط3، عمان، 1991، ص 247.

[5] –عما توفيق أحمد بدوي، محسن سميح الخالدي، **مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم**، أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل درجة الماجستير ، جامعة النجاح الوطنية،

[6] –الزمخشري محمود بن عمر، **الفائق في غريب الحديث ج1**، تحقيق علمي لمحمد البحاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، د س ن، ص 11.

[7]Arnol. D Toynbee, **L'histoir**e ;Traduit de l'anglais par jacques, potine et autre, Paris, Bruxelle, Elesevier Sèquoia, 1975,P 41.

أي أن الروابط والعلاقات بين الأفراد حسب توينبي تكون لنا المجتمع حيث يقول: الأفراد بكل بساطة هي النقاط المركزية داخل شبكة العلاقات.

أما بالنسبة للمجتمعات فإنه يوجد فرق بين المجتمع والمجتمعات حسب توينبي، إذ يرى أن كلا منهما لها معناها الخاص إذ يقول في كتابه مختصر دراسة التاريخ:" المجتمعات هي ميادين مفهومة الصلاحية للدرس".[1]

وهي بالتالي تنتمي إلى جنس تعتبر مجتمعاتنا الواحدة والعشرين أحد نوعيه.

فالحضارة هي مجموعة الأفكار والرؤى والقيم السائدة التي توجه الإنسان والتي تترك بصماتها وتلقي بظلالها على المنظومة الذهبية وأساليب وطرق التفكير لدى الإنسان. ويقول توينبي في هذا الصدد:" إنني أعني بالحضارة أصغر وحدة في الدراسة التاريخية يصل المرء إليها عندما يحاول أن يفهم تاريخ وطنه". [2]

ويقصد توينبي أصغر وحدة في الدراسة التاريخية ليست الدولة أو القومية، وإنما هي الحضارة لأنها هي برأيه الوحدة الأساسية لدراسة التاريخ، وهذا يعني أنه إذا أردنا أن نفهم على سبيل المثال تركيب الولايات المتحدة الأمريكية كما عليها اليوم فإننا لن نستطيع ذلك أو أن ندرس حتى تاريخ أوروبا ومن قبلها تاريخ الرومان واليونان، لأنه يرى أن العلاقة بين الحضارة الهيلنية والحضارة الأوروبية الحديثة ،والولايات المتحدة الأمريكية جزء منها تقوم على أساس علاقة (الأبوة والنبوة).وإذا كان الحال كذلك فكيف يمكننا أن نفهم الحضارة الهيلنية؟ يجيب توينبي على هذا السؤال بقوله:" إن جوهر الهيلنية ليس جغرافيا أو لغويا، ,إنما هو اجتماعي. لقد كانت الهيلنية طريقة مميزة من طرائق الحياة تجسمت في منظمة عليا هي المدينة الدولة".[3]

وقد تنوعت تعريفات أرنو لد توينبي للحضارة وقد أشار هو نفسه لهذا بقوله:" يصعب أن نلحظ ذلك الهامش المبهم للدراسات التاريخية ضمن الأطر القومية أيا كانت هذه الأطر، وعلينا أن نتوسع أكثر في آفاقنا التاريخية كي نتمكن من التفكير بشكل منطقي في أسس الحضارة الشاملة".[4]

---

[1] –أرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**، ج1،ترجمة فؤاد محمد شبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2001، ص 58.

[2] –أرنو لد توينبي، **الحضارة في الميزان**، ترجمة: أمين محمود الشريف، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1948، ص 197.

* **الهيلنية**: هي روح وفكر العصر الهيليني، وقد أطلق الإغريق على أنفسهم اسم الهيلنيين وأطلقوا على بلادهم اسم هيلاس.

[3] أرنو لد توينبي، **تاريخ الحضارة الهيلنية**، ترجمة رمزي جرجس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1958، ص 27.

[4] Arnold Toynbee, **civilization on trial**, oxford university press, London, 1956, P 11.

إذا نحن لا نستطيع أن نجد تعريفا واضحا لتوينبي لمعنى الحضارة بحيث يكون هذا التعريف قطعي الدلالة، لكن ولعل التعريف القائل أن:" إن الحضارة هي مجموعة بشرية اجتماعية ثقافية ذات مقاييس وأبعاد كبيرة[1].

هو أكثر تعريف يقترب من مفهوم توينبي للحضارة لأن توينبي قد اعتبر أن الحضارة هي الشكل الأكثر أصالة وواقعية للمجتمع البشري.

المبحث الثاني: نمو الحضارة وارتقاؤها

أولا: بداية الحضارات

ينطوي البحث في مشكلة الحضارة ونشوءها جملة من الصعوبات المنهجية والموضوعية فليس من المستطاع إطلاقا تقديم أنماط دقيقة لتمايز الحضارات، مثلما يقدم المرء وصفا نمطيا لفضائل الطيور.كما أننا لا نرى من اللفظ العام للحضارة سوى أشياء وممارسات مفردة.[2]

وعلى هذا المنوال يفسر أرنو لد توينبي نشوء وظهور الحضارات الأصلية الأولى في كل من وادي الرافدين وواد النيل فيقول:" كان السهل الأفرو آسيوي(أي جنوب شبه الجزيرة العربية وشمال إفريقيا) يتمتع بجو معتدل ومراع شاسعة ومياه غزيرة خلال نهاية الفترة الجليدية الأخيرة.[3]

وعلى الرغم من هذه البداية فهو يقول أنه لا يمكن إرجاع قيام الحضارات على صفات معينة في جنس من الأجناس، إذ لا يمكن أن يرتبط التفوق الروحي والذهني بلون البشرة، فالواقع أن جميع الأجناس قد ساهمت في انبعاث الحضارة.[4]

وبصورة أدق لا يمكن اعتبار البيئة هي العامل الإيجابي الذي جلب الحضارات إلى الوجود، وإن كان هذا عاملا عظيما ذا خطر في التشكيل الثقافي. فهناك عامل لا يمكن تحديده هو سيكولوجي في طبيعته وهو أخطر عوامل انبعاث الحضارات أهمية وأشرها ارتباطا بالقضاء والقدر.[5]

---

[1] –مالا شينكو الكسي، **الإسلام الثابت الحضاري في المتغيرات السياسية** ، ترجمة ممتاز بدري الشيخ، دار الحارث، دمشق، ط 1، 1999، ص 10.

[2] –بول فيين، **أزمة المعرفة التاريخية**، ترجمة إبراهيم فتحي، دار الفكر، القاهرة، باريس، ط1، 1993، ص 52.

[3] –علاء الدين الأعرجي، **أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي بين العقل الفاعل والعقل المنفعل**، مطبوعات إي،لندن،ط5 ،2015ص84..

[4] –إسماعيل محي الدين، **منهج التأريخ وفلسفة التاريخ**، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،1986ص 51.

[5] –جمعة علم الدينيفين ، **فلسفة التاريخ عند أرنو لد توينبي**،مرجع سبق ذكره، ص ص 122- 123.

وهنا يلجأ توينبي إلى استعراض الأساطير الكبرى التي أودعها الجنس البشري حكمته، كما يلتجئ إلى الأديان، فاستخلص الفكرة القائلة أن الإنسان قد حقق الحضارة ليس على أساس التفوق العنصري أو ثمرة بيئية جغرافية، ولكنه حققها استجابة لتحد موقف ذي صعوبة خاصة، استثار الإنسان لبذل جهد ما لم يبذله من قبل.

"ويعطينا مثلا على ذلك انبعاث الحضارة المصرية فلقد كانت الصحراء الكبرى والصحراء العربية قبل فجر الحضارة أرضا رعوية عامرة بالمياه، ثم أصاب تلك المراعي الجفاف الطويل فجابه وحارب سكانها بتحد استجابوا له بطرائق مختلفة تمثلت بتمسك البعض بأرضهم وتغيير عاداتهم، فابتكروا نمط الحياة البدوية.[1]

فيما نقل آخرون مواطنهم إلى المناطق الاستوائية حيث المراعي فاحتفظوا بطريقة حياتهم البدائية التي مازالوا يعيشونها حتى الآن، فيما لجأ آخرون إلى مستنقعات وغابات الدلتا(دلتا النيل) فجابهوا هذه المستنقعات بما مثلته من تحد لهم فعملوا على تجفيفها، وبذلك تمكنوا من إقامة الحضارة المصرية.[2]

وهكذا خلص توينبي إلى أنه يمكن تفسير بدايات الحضارة في الفرض القائل أن الأحوال الصعبة هي التي تولد الأعمال العظيمة وهذه الفكرة لا تقتصر على البيئة المادية وإنما تتجاوزها إلى البيئة البشرية، إذ نجد البيئة المبتدعة في كل حالة هي التي تلقى الصعوبات المادية أو البشرية، فالأرض البكر تبرز استجابات أشد حيوية من الأرض التي سبق اقتحامها بالفعل وشغلها مقيمون متحضرون فيسروا المعيشة فيها، كما أن الهزيمة الساحقة الفجائية كفيلة باستثارة الجانب المهزوم.[3]

ثانيا: نمو الحضارة وارتقاءها

إن عملية نمو الحضارة وارتقاءها تأتي كمرحلة ثانية بعد عملية نشوء الحضارة ومولدها، كما أن نمو الحضارة من وجهة نظر توينبي لابد له من حالتي " الين واليانج ".[4] وهما لفظان صينيان

[1]-شبل فؤاد محمد، أرنولد لد توينبي، **مبتدع المنهج التاريخي الحديث**، القاهرة، 1975، ص 68

[2] -عبيد إسحاق، **معرفة الماضي من هبرودوت إلى توينبي**، القاهرة،ط1، 1981، ص 135.

[3]-أرنولد توينبي، **مختصر التاريخ**، ج 1،مرجع سبق ذكره، ص 317.

[4]-رنو لد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**، ج 4، ترجمة فؤاد محمد شبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2006، ص 86.

استخدمهما توينبي للتعبير عن التحدي والاستجابة، وأما المعنى الحرفي لهما فهو (الين Yinبمعنى الركود واليانجYang بمعنى الحركة الدافعة).

إذا التحدي والاستجابة هما اللذان يكفلان نمو الحضارة وارتقاؤها، وذلك لأن ماهية ارتقاء الحضارات تكمن في تلك الاستجابات الداخلية التي تتولد وتتكون نتيجة لتحديات خارجية، فإذا كان مولد الحضارة تستثيره أسباب خارجية (ظروف طبيعية قاسية أو غزو خارجي)، فإن نمو الحضارة هو نتيجة لأسباب داخلية، وهنا يبرز السؤال التالي: ما هي طبيعة عملية ارتقاء الحضارات؟.

تعتبر فكرة الارتقاء من الأفكار التي عالجت مضمون نظريتي التحدي والاستجابة حيث:" يرى توينبي أن الارتقاء الحضاري يحدث حينما تصبح الاستجابة لتحد معين، لا ناجحة في نفسها فحسب ولكنها تستثير تحديا إضافيا يقابل باستجابة ناجحة.[1]

أي أن الارتقاء الحقيقي للحضارات من وجهة نظر" توينبي" هو الذي تكون فيه الاستجابات مكللة بالنجاح على التحديات المتتالية في كل مرة.

إن قوام عملية الارتقاء الحقيقي يطلق عليه توينبي كلمة التسامي ويعني بها التغلب على الحواجز المادية وتعمل هذه العملية(عملية التسامي) على إطلاق طاقات المجتمع من عقالها، لتستجيب للتحديات التي تبدو بعد ذلك داخل النفس أكثر منها خارجها، أي أنها روحانية الطابع أعظم منها ماديته فعلاقة الفرد بالمجتمع في ظل عملية الارتقاء تقوم على أساس التسامي كما يرى توينبي[2] أي أنها روحانية الطابع أكثر منها مادية، ومنه فعملية الارتقاء الحقيقي هي عملية التسامي، وهذه الأخيرة تعني التغلب على الصعوبات المادية.

ويرى توينبي أن هناك وجهتا نظر شائعتان وهما تتصلان بعلاقة المجتمع والفرد :

- الأولى" تجعل إحداهما في المجتمع حشد من ذرات هي الأفراد"[3] أي ترى هذه النظرية أن المجتمع مشكل من الأفراد التي هي وحدات.
- الثانية : وتعتبر هي الأخرى المجتمع كائنا حيا وما الأفراد إلا أجزاء منه ولا يدركون إلا أعضاء أو خلايا في المجتمع الذي ينتمون إليه".[4]

---

[1]– عبد العزيز الدوري، **فلسفة التاريخ**، عرض تاريخي، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الثاني، ص 79.

[2]–مصطفى النشار، **فلاسفة أيقظوا العالم**، دار قباء للطباعة، والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1998، ص34.

[3] –آمنة تشكو، **مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنو لد توينبي**، مرجع سبق ذكره، ص 80.

[4]–آمنة تشكو، **مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنو لد توينبي**، مرجع سبق ذكره ، ص 80.

هذه النظرة تنظر إلى المجتمع على أنه هو الكائن الكلي وما أفراده إلا جزء منه.

ومنه فإن عملية تحول المجتمعات البدائية إلى حضارة متطورة إنما هي في الحقيقة تعتبر بمثابة الانتقال من حالة الركود إلى حالة الديناميكية ، وبعنى آخر هي تحول السكون إلى حركة. ويقرر توينبي أن هذا التحول ما هو إلا قانون ثابت يحكم حركة المجتمعات والحضارات.ويشبه توينبي حالة هذه المجتمعات البدائية بالنائم على حافة الجبل، ويصف الحضارة بالنائم الذي استيقظ ويكافح كي يتسلق الجبل، وهذا هو تصوير "غورديف" أيضا للبشر. ويقول فاوست بلغة هذا التشبيه :" لقد قررت أن أغادر الحافة وأتسلق هذه الهوة بحثا عن الحافة التي تليها في الأعلى، واني لمدرك أنني في خطر، وأترك الأمان متعمدا من أجل تحقيق الأشياء المحتملة وأقبل المجازفة".[1]

ولتحليل أدق لماهية نمو الحضارات لابد لنا من توضيح العلاقة بين الفرد والمجتمع، والتي يقع على عاتقها عملية قيادة المجتمع نحو التحضر.ويوضح توينبي العلاقة بين الفرد والمجتمع بقوله:" إن المجتمع البشري ما هو إلا نظام للعلاقات بين أفراده، وهذه العلاقة إنما تقوم على توافق مجالات فاعلية الأفراد توافقا يجمعها على أرض مشتركة، وذلك هو ما نسميه المجتمع".[2]

ومما سبق نستنتج أن المجتمع هو مجال العمل المشترك بين عدد من الناس، وهو ميدان الفعل، وأن الأفراد العباقرة أو الفئة المبدعة برأي توينبي هي العلة في نمو الحضارات وارتقاءها. وفي هذا الصدد يقول:" إن للعظماء دور جوهري في صناعة التاريخ ولكنه يعني بالعظماء العلماء والمفكرين والقادة العسكريين على العكس من شنيجلر الذي قلل من دور العلماء والمفكرين".[3]

كما يقول كذلك توينبي:" أن الشخصية النامية أو الحضارة تسعى إلى أن تصير هي نفسها بيئة نفسها، وتحديا لنفسها، ومجال عمل لنفسها. وبعبارة أخرى، إن مقياس النمو هو التقدم في سبيل التحقيق الذاتي، ويكون ذلك عن طريق المبدعين من الأفراد أو بواسطة الفئة القليلة من هؤلاء القادة المهتمين. إذ تستجيب لهم الأكثرية عن طريق المحاكاة الآلية التي تمثل الطريقة الغالبة في عملية الانقياد الاجتماعي".[4]

---

[1]–ولسن كولن، **سقوط الحضارة**، ترجمة: أنيس زكي حسن، دار العلم للملايين، بيروت، 1959، ص 148.

[2]– أرنو لد توينبي، **الحرب والمدينة**، ترجمة أحمد محمود سليمان، دار النهضة العربية، القاهرة، 1964، ص22.

[3]– حسن محمد الكحلاني، **فلسفة التقدم**، مكتبة مدبولي، القاهرة، د ط، 2003، ص 68.

[4]–خوري منح، **التاريخ الحضاري عند توينبي**، دار ا لعلم للملايين، بيروت، ط1، 1960، ص ص 35، 36.

وهكذا نرى كيف أن توينبي اعتبر الشخصية الفردية المبدعة وليس الشعوب فقط هي القوى المحركة الرئيسية لتطور المجتمعات وتقدمها، كما نرى أن الفئة المبدعة(الصفوة أو النخبة) هي المسؤولة عن مولد الحضارات وعن نموها وارتقاءها. وهي أيضا مسؤولة عن انهيارها وانحلالها، فربط بذلك قصة الحضارة من مولدها وحتى انحلالها بالفئة المبدعة رباط العلة بالمعلول. وقد ذكر توينبي النبي محمد صلى الله عليه وسلم في كتابه تاريخ البشرية إذ يقول: "كان لعبقرية النبي محمد أثر كبير في نقل رسالة ربه....وجاءت رسالة محمد في الوقت المناسب إذ تلقى هذه الشحنة فأحسن استعمالها برؤيته النيرة وبتصميمه وحكمته".[1]

كما يقول توينبي عن فكرة الانسحاب والعودة في كتابه الفكر التاريخي عند الإغريق:" إن الحضارة إذا تغلبت عن التحدي يمكن أن تمضي في الطريق من جديد، ويمكن أن تعود مرة ثانية، أو يمكن أن تتجمد إلا أن يشاء الله لها الحياة أو السكون أو الموت ولكن الموت ليس حتميا".[2]

بمعنى أن توينبي يعتبر أن مرحلة العودة والانسحاب هي مرحلة تظهر بها الحضارة بقوة أكبر مما كانت عليه بفضل الانعزال. فالانسحاب بغرض جمع القوى والعودة بغرض تبيان تلك القوة التي وصلت إليها.

وعليه فإن الهدف الذي يرمي إليه توينبي من خلال دراسته لنمو الحضارات لم يكن طلب المعرفة لذاتها بل كان الهدف منه طلب الخبرة والعبرة التي تساعد على مجابهة التحديات التي واجهتها حضارته الأوروبية.وعلى ضوء على ضوء هذه الفكرة نفهم حرص توينبي في نهاية دراسته لمشكلة نمو الحضارات على بيان أن النمو والارتقاء هو تقرير لمصير الكيان الحضاري .

وعلى طريقة شبنجلر في تمييز الحضارات برموزها يرى توينبي أن لكل حضارة سمة مميزة أو أسلوبا فنيا خاصا يتشكل معها في سياق نموها، فالحضارة الهيلنية جمالية الطابع، والحضارة الهندية دينية الروح، والحضارة الغربية علمية المنحى آلية السمات، أما الحضارة الإسلامية فهي تتسم بالطابع الحسي.[3]

---

[1]- أرنو لد توينبي، **تاريخ البشرية**، ترجمة ناقولة زياد، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 2004، ص 81.

[2]- أرنو لد توينبي، **الفكر التاريخي عند الإغريق**، مرجع سبق ذكره، ص 14.

[3]- قاسم عبد عوض المحبشي، **فلسفة التاريخ في الفكر الغربي المعاصر، أرنو لد توينبي موضوعا**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2004، ص 204.

المبحث الثالث:إنهيار الحضارة وإنحلالها.

أولا: إنهيار الحضارات:

إذا كان توينبي قد توصل إلى أن سبب قيام الحضارات هو نجاح الأقلية المبدعة في المجتمع في الإستجابة للتحديات إستجابة متواصلة، فإنه يرى في الوقت ذاته أن فشل هذه الأقلية في هذا المجال هو سبب إنهيار هذه الحضارات،فالعامل الجوهري في قيام الحضارات وإنهيارها هو توافر عنصر الإبداع لدى الأقلية (المبدعة) أو فقد أنها له، مما يجعلها عاجزة عن القيام بواجبها في تقديم إستجابات ناجحة للتحديات التي تواجه المجتمع، وقد لاحظ توينبي أن ضعف الطاقة المبدعة أو غيابها لدى الأقلية المبدعة في المجتمع يحملها على إستخدام القوة ضد أغلبية أفراد المجتمع لحملها على طاعتها بعد أن كانت هذه الأغلبية تقوم بتقليد الأقلية بسبب إعجابها بها وقناعتها بقدراتها الإبداعية، وهكذا تتحول الأقلية التي كانت مبدعة إلى " أقلية مسيطرة تسعى إلى الإحتفاظ بمركز لم تعد جديرة به بإستخدام القوة [1]"، وهذا يؤدي إلى إشتقاق في صفوف الأغلبية العاطلة عن الإبداع ويسميها توينبي بـ(البروليتاريا) ومن الواضح أن مدلول هذا المصطلح لدى توينبي يختلف عن مدلوله لدى ماركس الذي قصد به الطبقة العاملة التي تعتمد في توفير رزقها على عملها اليدوي.

-وقد أشار توينبي إلى أن البروليتاريا المنشقة عن حكامها بعد أن فقدت إعجابها بهم تنقسم منذ البداية إلى فئتين وهي تسعى إلى مقاومة محاولتهم فرض النظام عليها عن طريق القوة والتسلط.

-بروليتاريا داخلية عنيدة وذليلة لأنها لسلطة الأقلية(المسيطرة) المتسلطة عن غير قناعة.

-بروليتاريا خارجية وراء الحدود تقاوم الإندماج في عنف[2] وهكذا يتوصل توينبي إلى أن حالة إنهيار الحضارات تتسم بثلاث سمات هي:

أ-قصور الطاقة الإبداعية في الأقلية التي تقود المجتمع.

ب-عزوف الأغلبية عن محاكاة الأقلية بعد قصور طاقتها للإبداعية.

---

[1]-توينبي،مختصر دراسة التاريخ، ج1،ص412.

[2]-المصدر نفسه، ص412-413.

-فقدان الوحدة الإجتماعية في المجتمع نتيجة لظهور الإنشقاقات[1] وبغزو توينبي قصور الطاقة المبدعة لدى الأقلية القائدة للمجتمع والحضارة إلى (الزهور والغرور والتكبر والأنانية) الذي يصيب هذه الأقلية بسبب نجاحها في مواجهة التحديات فإذا واجهت حضارة معينة تحديا معينا بنجاح فإن ذلك يعني أن الأقلية المبدعة ستميل إلى الراحة وتبتعد عن ظروفها السابقة بحيث يكون محتملا أن تفشل في مواجهة تحدثان لقد أطلق توينبي على هذه الحالة التي تقود إلى سقوط الحضارات تسمية Hybris وهي كلمة إغريقية تعني الغرور والتكبر، مما يدل على أن مصير الحضارات تقرره في النهاية الحالة الأخلاقية للأقلية المبدعة[2].

ويمكن تلخيص أسباب إنهيار الحضارات بجملة من النتائج التالية:

1-ليس إنهيار الحضارات من فعل القضاء والقدر.

2-لا يرجع الإنهيار إلى الإنحطاط في الأساليب الصناعية أو التكنولوجية.

3-ليس الإنهيار نتيجة عدوان مهلك شنه خصوم دخلاء.

ثانيا: إنحلال الحضارة:

يرى توينبي أن مرحلة إنهيار الحضارة، مرحلة أخيرة من مراحل الحضارة، وهي مرحلة التحلل أو التحجر، إذ أن مصير الحضارة المنهارة واحد من إثنين إما التحجر كما حصل مع الحضارة المصرية القديمة والحضارة الصينية، وإما الإنحلال والذي يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام هي:

1-الأقلية الحاكمة:التي تقيم دولة عالمية (بعد أن كانت أقلية مبدعة وقد أنشأت حضارة).

2-بروليتاريا داخلية: قوامها فئة من المعدمين ومن سكان البلاد المغلوبة ومن العبيد وكلهم يعيشون في المجتمع بأجسادهم فقط، ويشعرون بأنهم غرباء عنه، أو أنهم ليسوا منه حيث تكون ردود أفعالهم في مرحلة الإنحلال قائمة على الضعف ثم تتخذ معارضتهم شكلا أرقى، ولكنه أعمق وذلك بإنشاء ديانة أسمى.

3-بروليتاريا خارجية مكونة من برابرة يرابطون على الحدود فتقف في وجههم الحصون، ثم يضطر أصحاب الدولة العالمية لإستئجارهم ثم ينقلبون ضدهم، ويضربون قلب بلادهم كما حصل في الإمبراطورية الرومانية لكنهم يعجزون عن الحكم وتحل الفوضى، وبعد أمد من ظلام الفوضى وتخلف،

[1]- توينبي مختصر دراسة التاريخ، المصدر السابق،ص413.

[2]- ولسن،سقوط الحضارة، المرجع السابق، ص151-152.

تتمكن قوى القانون والنظام تدريجيا من السيطرة على الوضع، وحينذاك تكون حضارة جديدة قد بدأت.[1]

-هذه الجماعات الثلاث كما يرى "كولن ولسون " تكره بعضها بعضا، ويحاول الزعماء أن يتمسكوا بسلطاتهم بصورة أشد، وترد البروليتاريا الخارجية على ذلك بالعصيان في حين أن البروليتاريا الداخلية تتشتد في تقوقعها "[2].

ويبقى أن تذكر ناحية هامة بالنسبة للحضارة المنحلة، وهي أن العناصر التي تتحلل إليها قد تدخل في تركيبة الحضارات التالية عليها كدخول القانون الروماني في تشريعات الحضارات التالية على الحضارة الرومانية، ولكن هذا لا يعني بالضرورة إنتقال العناصر التي تتحلل إليها حضارة ما إلى حضارات لاحقة.

-وقبل أن نختم هذا الفصل يجدر بنا أن نقدم عرضا عاما لمسيرة الحضارة عبر مراحلها وهي:

1-مرحلة مولد الحضارة

2-مرحلة نمو الحضارة وإرتقائها.

3-مرحلة إنهيار الحضارة.

4-مرحلة إنحلال الحضارة.

لعلنا نستطيع من خلال هذا العرض أن نقدم مجموعة من الأفكار الأساسية التي من شأنها أن تساعدنا في إضاءة بعض الجوانب الغامضة والهامة من ناحية وأن نستدرك ما فاتنا ذكره من ناحية أخرى أملا في الوصول إلى إستعراض شامل لقصة الحضارة في ضوء نظرية(التحدي والإستجابة).

-ويمكننا أن نقدم العرض العام من خلال الإجابة عن سؤالين منفصلين هما:

-**السؤال الأول**: -هل مشكلة نمو الحضارة وإرتقائها هي مشكلة جديدة تختلف عن مشكلة ميلاد الحضارة؟

-الجواب نعم، هي مشكلة جديدة ومختلفة وذلك لأن هناك حضارات تسمى الحضارات المتعطلة، وهي حضارات إستطاعت أن تحل مشكلة البدأ(ميلاد الحضارة)، ولكنها أخفقت في إيجاد حل

[1]-زياد عبد الكريم النجم،توينبي ونظريته التحدي والإستجابة،ص115-116.

[2]-كولون ولسون،سقوط الحضارة،ص155.

لمشكلة النمو والإرتقاء والحضارات المتعطلة هي الحضارات التي ظلت على قيد الحياة، لأنها تجاوزت مشكلة الميلاد ولكنها متعطلة لأنها أخفقت في متابعة النمو والإرتقاء.

ويقدم لنا توينبي أمثلة على هذا النمط من الحضارات المتعطلة فيقول: "الإسكيمو: أبدعوا إستجابة ناجحة من مقاومة الظروف الطبيعية الصعبة في منطقة المحيط المتجمد الشمالي وكانوا شجعان في مواجهة الطبيعة، وإخترعوا أدوات الصيد وصنعوا بأنفسهم و إصطادوا الحيوانات (عجول البحر) ولكنهم لم يرتقوا أكثر من ذلك، ولم يستطيعوا مواصلة النمو الحضاري، ولكنهم بقوا على قيد الحياة، وهذا ينطبق على البوليتريون والبدو [21]

وهناك نوع آخر من الحضارات يسميه توينبي (بالحضارات العقيمة) وهي الحضارات التي تموت في المهد، هذا النوع من الحضارات، لا يتجاوز مرحلة الميلاد،وهي بذلك تكون أقل درجة من (الحضارات المتعطلة) وذلك لأن الحضارات المتعطلة تحقق النجاح في مرحلة الميلاد، وتتجاوزها، ولكنها تخفق في تحقيق النمو والإرتقاء، أما (الحضارات العقيمة)، فهي لا تتجاوز مرحلة (الميلاد) بل إنها تموت في مهدها وكمثال على الحضارات العقيمة يقدم لنا توينبي نموذجين:

-النموذج الأول: حضارة مسيحية الغرب الأقصى وهم شعب يسمى " الكلته " وقد عاشو في إنكلترا وإيرلندا، وإعتنقوا المسيحية على طريقتهم، ولم يعتنقوها كما هو الحال عند باقي المسيحيين ولم يكتب لهذا المجتمع أن يقيم حضارة كحضارة المسيحية الشرقية أو الحضارة المسيحية الغربية.

-النموذج الثاني: الحضارة الإسكندنافية العقيمة، أي مناطق الدانمارك والنرويج وكان يسكنها شعب "الفايكنج " ولك يكتب لهذا الشعب النجاح في إقامة حضارة بسبب الغزو المستمر الذي كانت تواجه شعوب هذه المنطقة.[3]

ومن خلال العرض (الثالث) السابق يمكننا أن نقسم الحضارات إلى ثلاثة أصناف:

-الصنف الأول: حضارات عقيمة، وهي المجتمعات التي تموت في المهد ولا تتجاوز المرحلة الأولى من مراحل الحضارة (مرحلة الميلاد) ومثال عليها:

[1]-المقصود بالبدو هنا ليس كل البدو وإنما هم بدو كانوا يقطنوا منطقة جنوب روسيا حاليا.

[2]-توينبي أرنولد، مختصر دراسة للتاريخ، ج1،مصدر سابق،ص276.

[3]-زياد عبد الكريم النجم، توينبي ونظريته التحدي والإستجابة،ص117-118.

1-حضارة مسيحي الغرب الأقصى.

2-الحضارة الإسكندنافية.

-الصنف الثاني: حضاراته متعطلة وهي مجتمعات إستطاعت تجاوز المرحلة الأولى من مراحل الحضارة (الولادة)، ولكنها أخفقت في تحقيق النمو والإرتقاء وتبقى مع ذلك حية مثل الإسكيموالبولينزيين والبدو الإسبارطيين.

-الصنف الثالث: وهي المجتمعات التي تمر بمراحل الحضارة كلها فتتجاوز مرحلة الميلاد وتستطيع أن تنمو وترتقي وتقدم إستجابة ناجحة ومبدعة على التحديات التي تواجهها.

-وبمرورنا من مرحلة إنهيار الحضارات إلى مرحلة إنحلالها علينا أن نواجه سؤال مثل الذي واجهناه، عندما عبرنا الطريق من مرحلة مولد الحضارة إلى مرحلة نموها و إرتقائها.

-**السؤال الثاني:** هل الإنحلال مشكلة جديدة تقوم بذاتها او هل يمكننا التسليم بدلا على سبيل الفرض بأنها نتيجة للإنهيار لا مفر منها ؟

الجواب نعم إن مشكلة الإنحلال مشكلة جديدة ومختلفة عن مشكلة الإنهيار ودليل ذلك وجود حضارات عانت من تعطل عقب الإنهيار ودخلت في مرحلة تحجر طويل الأمد.

-إذا حدوث الإنهيار في حضارة معينة، لا يستلزم حدوث الإنحلال (التام) بالضرورة، لأن الحضارة بعد مرحلة الإنهيار.

تكون أمام إحتمالين إما التحجر وإما الإنحلال التام (الإبادة) وكمثال على الحضارة المتحجرة يذكر توينبي الحضارة المصرية التي إنهار مجتمعنا تحت العبء الجسيم الذي فرضه عليه بناء الأهرامات، وكذلك الحال بالنسبة لحضارة الشرق الأقصى في الصين التي إنتهى بها الأمر بعد مرحلة الإنهيار إلى الدخول بحالة التحجر الحضاري، ويعتبر توينبي أن اليهود يشكلون مثالا صارخا وواضحا على الحضارة المتعطلة.

وأما البديل عن التحجر،فهو الإبادة التامة والمطلقة (إنحلال نهائي) ويبدوا لنا ان مرحلة الإنحلال الحضاري يسبقها التحجر والإبادة التامة (الإنحلال النهائي) هما في المحصلة شيئ واحد لأن الإنحلال يعني التوقف نهائيا عن الإبداع واللجوء إلى التقليد فتنقلب الحضارة المبدعة الخلاقة إلى حضارة مقلدة مستهلكة تعيش عالة على الحضارات الحية والمتقدمة.

ويرى توينبي أن جميع الحضارات بكافة أنواعها والتي وجدت عبر تاريخ البشرية بأكمله إما أنها إنحلت وبادت وإما أنها ما زالت تمر بمرحلة الإنهيار وتقترب أكثر فأكثر من مرحلة الإنحلالبإستثناء الحضارة المسيحية الغربية التي ما زالت حسب رأيه قادرة على إبداع الإستجابات الناجحة التي تواجهها

وختاما: إن أهم مراحل الإنحلال الحضارة هي:

1-عصر إضطرابات.

2-دولة عالمية.

3-فراغ.

وفي مرحلة الإنحلال يسيطر على الشعوب (الشعور بالإبتذال) وهو بديل (للشعور بالأناقة) الذي هو سمة الحضارة في سياق نموها وإرتقائها فالشعور بأناقة الأسلوب، هو نوع من إعتزاز بالنفس، والثقة بها فالنفس الإنسانية في هذه الحالة،تبدع ولا تقلد، ويظهر هذا الشعور في مرحلة إرتقاء الحضارة، وهو سمة هامة من سمات هذه المرحلة.

أما الشعور بالإبتذال فهو عكس الشعور بالأناقة وذلك لأن الشعور بالإبتذال يحدث في الحضارة المنحلة، وهذا الشعور هو نوع من الشعور بالنقص، مقارنة بالآخرين لذلك تميل الشعوب في الحضارة المنحلة إلى تقليد الآخرين، وإستعارة أساليبهم في شتى مناحي الحياة.

ولعلنا بهذا العرض العام، إستطعنا أن نقدم صورة متكاملة عن قصة الحضارة ومسيرتها، من تكونها حتى إنحلالها.

المبحث الرابع: مقترحات توينبي لانقاذ الحضارات.

يمكننا أن نجمل مقترحات توينبي حول مسألة إنقاذ الحضارات من مصير الإنحلال والفناء بمقترحين أساسيين هما:

الأول: الإبتعاد عن الحرب

الثاني: العودة إلى الدين:

ورأى توينبي أنه لا مندرحة من التقيد بهذين المبدأين الأساسيين إذا ما أراد أصحاب حضارة ما، أن يقوا حضارتهم من مصير الإنحلال وأن لا تصير حضارتهم إلى ما صارت إليه الحضارات السابقة.

أولا: الإبتعاد عن الحرب:

بعد أن تفحص توينبي الأسباب المباشرة لإنهيار كل حضارة من الحضارات التي درسها وبعد أن حلل طبيعة تلك الإنهيارات وصل إلى نتيجة مفادها أن الحرب هي السبب المباشر لإنهيار كل الحضارات التي إنهارت يقول ذلك:[1] " إن دراسة مقارنة لإنهيار الحضارات المعروفة، تبين أن الإنهيار الإجتماعي مأساة، مفتاح عقدتها مؤسسة الحرب، ولعل الحرب هي حق في آخر تحليل بنت الحضارة، ما دامت إمكانية خوض غمار الحرب تفترض حدا أدنى من التقنية والتنظيم،كما تفترض فائضا في الثروة على ما هو ضروري كل الضرورة للمعيشة ولكن الإنسان البدائي قد أعوزه هذان العصبان الخاصان بالحرب،كما أننا لا نعرف من جهة أخرى أية حضارة، لربما بإستثناء حضارة المايا لا تبرح معرفتنا بها الجزئية، لم تشكل الحرب فيها سلفا مؤسسة قائمة، وسائدة في أبعد عصر يمكننا الرجوع إليه من تاريخها"[2].

إذا لابد من توافر عنصرين أساسيين لحدوث أي حرب وهذان العنصران هما:

1-التقنية والتنظيم.

2-الفائض في الثروة.

وهذان العنصران لا يتوفران إلا في ظل الحضارة، ومن هنا يمكننا أن ندرك لماذا يرى توينبي أن الحرب بنت الحضارة وهذان العنصران كانت تفتقر إليهما المجتمعات البدائية السابقة في وجودها زمنيا على وجود الحضارات، لقد رأى توينبي: أن الحرب مؤذنة بخراب الحضارات وزوالها.[3]

"وإن حامل السيف لا يمكن أن يبني حضارة أو ينقذها من الدمار ومن يضرب بالسيف يقتل بالسيف،ذلك هو القانون الصارم للحياة الواقعية، وليس إيمان حامل السيف بظفر نهائي سوى وهم خالص ".[4]

-وإذا أردنا أن نحلل هذا الإستنتاج الذي توصل إليه توينبي فيما يخص النزعة الحربية، فإنه يجدر بنا أن نسلط الضوء على فكرتين أساسيتين في نظريته:

---

[1]-زياد عبد الكريم، توبي ونظريته التحدي والإستجابة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب،دمشق،2010،ص124.

[2]-توينبي أرنولد، الحرب والحضارة،ت رجمة: فؤاد أيوب، دار دمشق،1950،ص7.

[3]-زياد عبد الكريم، المرجع السابق،ص125.

[4]-توينبي، الحرب والحضارة، ترجمة: فؤاد أيوب، دار دمشق،1950،ص165.

-الفكـرة الأولـى: أنـه إعتـبر الأفـراد العظمـاء، أو الفئـة المبدعـة وهـذه الفئـة المبدعـة بأيـدها تبـني الحضـارات وبأيديها تفنى.

-الفكـرة الثانيـة: هـي أن المبـدع عنـدما يصـل إلى مرحلـة عجـزه عـن تقـديم الإسـتجابات الناجحـة علـى التحديات التي تواجه مجتمعه، فإنه يتخذ أحد الشكلين التاليين من أشكال الإنحراف.

أ-الشـكل السـلبي للإنحـراف: وفي هـذا الشـكل يقـوم المبـدع بـإجترار مـا كـان قـد أبدعـه مـن إسـتجابات، كانـت ناجحـة فيمـا معـنى دون أن يقـدم حلـولا أو إسـتجابات ناجحـة علـى التحـديات الجديـدة الطارئـة، والتي تتطلب إستجابات إبداعية مختلفة عن الإستجابات السابقة.[1]

إذ أن إعتمـاد المبـدع علـى مـا أبدعـه والإعجـاب بـه و إعطائـه صـفة الـدواء النـاجح لكـل داء، بالإضـافة إلى تجاهلـه لمـا يبدعـه غـيره، ومـا يتفـوق بـه عليـه هـذا هـو شـكل السـلبي للإستسـلام لآفـة الإبـداع الأسلوب فني فان من جهة نظر توينبي.

ب-الشـكل الإيجـابي للإنحـراف: وهـو الـذي عـبر عنـه تـوينبي حسـب صـيغة يونانيـة بكلمـة تعـني: التخمـة، السـلوك الأحمق،الـدمار، وتعتـبر النزعـة الحربيـة مثـالا واضـحا علـى الإنحـراف الإيجـابي، فالتوسـع الحـربي وبنـاء الإمبراطوريـات يـأتي في مرحلـة إنهيـار الحضـارات، وهـو مـا تقـوم بـه الفئـة المبدعـة عنـدما تفقـد قـدرتها علـى الإبـداع، وتفقـد الجمـاهير الثقـة بهـا، بعـد أن فقـدت تلـك الفئـة المصـوغات الـتي جعلـت الجمـاهير تتفـنن في محاكاتهـا وتقليـدها، وإعتـبر أن قيـام الإمبراطوريـات مـا هـو إلا تغطيـة للفـت أنظـار الجمـاهير عـن مشـاكل الـداخل، وتوجيـه الأنظـار نحـو مشـاكل وحـروب خارجيـة، وهـي بـنفس الوقـت تغطيـة علـى حـالات الإضـطراب والفوضـى، والتـدهور الـداخلي داخـل المجتمـع وإنطلاقـا مـن هـاتين الفكـرتين السـابقتين ومـن خـلال إطلاعـه ودراسـته الواسـعة للتـاريخ وإجرائـه لمقارنـة بـين الحضـارات قـديما وحـديثا، كـان إسـتنتاجه أن الـدول الـتي قامـت علـى أسـس حربيـة، قـد أدت بهـا هـذه النزعـة إلى الفنـاء فنـاء الإنتحـار، لا المـوت الطبيعـي، حـتى وإن حققـت في بـادئ الأمـر انتصـارات مثـيرة، وقـدم أمثلـة كثـيرة منهـا: إسـبرطة و الدولـة الآشـورية، ومجتمـع التتـار ولـذلك كـان أشـد مـا يخشـاه أن تقـع حـرب عالميـة ثالثـة بـين المنظومة الإشتراكية بزعامة الإتحاد سوفياتي وبين المنظومة الرأسمالية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية.[2]

[1]-زياد عبد الكريم، المرجع السابق،ص125-126.

[2]- المرجع نفسه،ص126-127.

لأن ذلك سيؤدي برأيه إلى إنحلال الحضارة الغربية وزوالها وهذا أكثر ما كان يؤرقه فيما يخص مستقبل الحضارة الغربية، بوصفه أحد أبناء هذه الحضارة الذين شغلتهم أزماتها و مشكلاتها المعاصرة.

ثانيا: العودة إلى الدين:

لقد لاحظ توينبي من خلال دراسته لمرحلة الإنهيار التي تمر بها الحضارة بأنها تسير في ثلاثة إتجاهات رئيسية متوازية ومنفصلة عن بعضها البعض.

1-الإتجاه الأول: تقوده الفئة المبدعة التي كانت السبب الرئيسي في نشوء الحضارة، ثم تحولت إلى أقلية مستبدة في مرحلة الإنهيار تسعى إلى تأسيس دول عالمية (إمبراطوريات).

2-الإتجاه الثاني: تتزعمه البروليتاريا الخارجية التي تظهر فيه البطولات والفنون بأشكالها المختلفة، وتعتبر هذه الفئات الثلاث بمثابة المكونات الرئيسية للنسيج الإجتماعي الذي تتكون منه الحضارة المنهارة والمتجه نحو التلاشي والإنحلال.

وبالتالي يصبح هناك نوع من الفرز الوظيفي غير المقصود والعضوي لكل فئة من فئات الحضارة المنهارة،حيث تنشغل الأقلية المسيطرة في تأسيس الدول العالمية (الإمبراطوريات) ولذلك تكون الفرصة سائحة للبروليتاريا الداخلية لتقيم الأديان العالمية، حيث تكون هذه الفئة بعيدة عن العمل السياسي، بعد أن فقدت ثقتها وإفتتانها بالأقلية المسيطرة فينحصر دورها في المجال الديني.[1]

كما أنه في هذه المرحلة (الإنهيار) تصبح الفرصة ملائمة للبروليتاريا الخارجية، للإقتحام والإستيلاء على السيادة والسلطة.

وبناءا على ذلك يكون إنشاء الدول العالمية من قبل البروليتاريا الخارجية يتم في نفس الوقت الذي تعمل فيه البروليتاريا الداخلية على إنشاء الأديان العالمية.

لكنهما في نفس الوقت كالخطين المتوازيين لا يلتقيان أبدا.

إذا لقدر رأى توينبي أن العقائد الدينية لا تنشأ إلا في الكيانات الإجتماعية المنهارة للدول العالمية، حيث تتهيأ الظروف المناسبة للبروليتاريا الداخلية للإنصراف إلى أمورها الدينية، وعندها نأخذ العقيدة الدينية في النمو، وجذب الطاقات البشرية إليها وإستنادا إلى ذلك يمكننا أن نعتبر أن عمليتي الإرتقاءوالإنهيار في الحضارات تسيران على إيقاع حركة الدين، ولذلك يفسر توينبي سيرورة الحضارات

[1]- زياد عبد الكريم، المرجع السابق ، ص127.

وأدوارها التاريخية على أساس تاريخ الأديان ومن هذه الفكرة نلحظ كيف أن توينبي قد أعاد النظر في قرائته للتاريخ، وقدم صياغة جديدة لخطة تاريخ العالم أتت على الوجه التالي:

1-وجود المجتمعات البدائية.

2-المدنية الأولى (حضارات الجيل الأول، والمشتقة من هذه المجتمعات البدائية، وهي الحضارات التالية: السومرية-السندية-المينوية-المصرية).

3-المدنيات الثانية، وهي البابلية، مشتقة من (السومرية) و المدنية الهندية مشتقة من (السند) والمدنية السريانية والهيلينية من (المينوية).

4-الديانات الكبرى وقد نشأت عن المدنيات الثانية(الهندوسية عن طريق الهند، الإسلام عن طريق السريانية،والمسيحية عن طريق المدنية الهيلينية.[1]

5-بعد ذلك تأتي المدنيات الثالثة وقد اشتقت من المدنيات الثانية عن طريق الديانات العليا وهي: الحضارتان الغربية والمسيحية الأرثودكسية من الحضارة الهيلينية عن طريق المسيحية وحضارة الشرق الأقصى بفرعيها الكوري والياباني قد تولدت عن الحضارة الصينية بواسطة المهايانا كذلك تولدت الحضارتان الإيرانية والعربية عن الحضارة السريانية بواسطة الإسلام.

وبناء على قراءة توينبي هذه للتاريخ العالمي، فإننا نلاحظ تغيرا جوهريا طرأ على مخططه الأساسي لتاريخ العالم، والذي كان يسير على النحو التالي: نشوء-إرتقاء-إنهيار-تحلل إذ أنه كان بذلك يعتبر أن المضمون الرئيسي لتاريخ البشرية يتمثل عبر تاريخ الحضارات، ولكنه وفقا لآرائه الجديدة حول دور الدين فقد تخلى عن أفكاره السابقة، بحيث أصبح تاريخ الحضارات لا يمثل سوى مرحلة في عملية الصعود من المجتمعات البدائية إلى الديانات العليا عبر المدنيات، وأصبحت الأديان بناء على ذلك هي التي تشكل الخطوط الرئيسية لمخطط توينبي في دراسة التاريخ، وبهذا أصبح دور الحضارات يمثل مرحلة وسيطة بين المجتمعات البدائية،وبين الأديان العليا حسب رأي توينبي وقد خلص من خلال إستقرائه لتاريخ الحضارات إلى أن من بين إحدى وعشرون حضارة وجدت عبر تاريخ البشرية لم يبقى سوى خمس حضارات فقط، والباقي إندثرت وتلاشت وأما الحضارات التي مازالت حية فهي:

1-الحضارة المسيحية الغربية(أمريكا وأوروبا الغربية).

[1]-زياد عبد الكريم، المرجع السابق،ص128.

2-الحضارة المسيحية الشرقية الأرثودكسية(روسيا ودول البلقان).

3-الحضارة الإسلامية بفرعيها (العربي والإيراني).[1]

4-الحضارة الهندية(الهندوكية وبوذية الهينايانا).

5-حضارة الشرق الأقصى(الصين والكوريتين واليابان).

وأن وراء هذه الحضارات الخمس،أربعة أديان عليا هي: المسيحية (وراء الحضارتين المسيحيتين الغربية والشرقية) والإسلام (وراء الحضارة الإسلامية بفرعيها العربي والإيراني)والهندوسية (وراء الحضارة الهندية) والبوذية (وراء حضارات الشرق الأقصى).

-أجل لقد تغيرت نظرة توينبي لدور الحضارات، وإستنادا لنظرته الجديدة أصبح ينظر للحضارات على أنها (متساوية)غير متساوية بل رتبها في ترتيب معين على أساس مدى مشاركتها في نشأة الأديان العليا وعلى ذلك يكون تاريخ الأديان كاشفا عن التقدم المستمر نحو الأمام خلافا لتاريخ الحضارات الذي يتجلى فيه الكثرة والتكرار.

ويرى توينبي أيضا أن الأديان تميل إلى إنعاش الشعور بالواجب الإجتماعي في مريديها أكثر من اتجاهها نحو تحطيمه، وأن لكل حضارة من حضارات الجيل الثالث التي ما زالت قائمة في الوقت الحاضر،عقيدة دينية تعتبر قوام تلك الحضارة، وعن طريق الدين تتصل الحضارة بصلة النسب، بحضارة أخرى من حضارات الجيل الثاني وكان يرى أن الدين وجد لتتمكن النفس البشرية من أن تتلقى أنوار الرب،وأن تنبذ عبادة الذات، وتبذل الجهد في إستعادة وفاقها مع الله.[2]

إذا لقد إعتبر توينبي أن السبيل الوحيد لإنقاذ الحضارات من مصير الإنهيار، يكمن في عاملين أساسيين هما، التخلي عن الحروب والرجوع إلى الدين.

ويمكننا أن نعتبر بناءا على فهمنا لنظريته أن العامل الأول (الإبتعاد عن النزعة الحربية) يشكل عاملا وقائيا، أما العامل الثاني (الرجوع إلى الدين) فإنه يشكل حلا علاجيا ولابد من توفر هذين العاملين(الوقائي والعلاجي). إن جاز التعبير لإستمرار الحضارة بالوجود ولتقي نفسها من شر الفناء.[3]

[1]-زياد عبد الكريم، المرجع السابق،ص129.

[2]- المرجع نفسه،ص130.

[3]-المرجع نفسه،ص131.

خاتمـــــة

الخاتمة:

وخلاصة القول وعلى ضوء الدراسة السابقة-دراستنا من خلال نظرية التحدي والإستجابة- خلصنا إلى جملة من النتائج والإستنتاجات وهي كالآتي:

1-يعتبر أرنولد توينبي شخصية فذة استطاع أن يترك بصمته في سجل التاريخ من خلال العديد من الإنجازات التي قدمها والتي ساهمت في بناء فكره من خلال دراسته التاريخ وتحليله للحضارات.

2-إن دراسة توينبي لنظرية التحدي والاستجابة جعلته يتعايش مع أبرز المشكلات العالمية المعاصرة وهو ما ساعده في تقديم مادة تاريخية دسمة وشاملة لمختلف الحضارات.

3-محاولة توينبي التوفيق بين كل الاتجاهات الفلسفية التاريخية القديمة والحديثة والمعاصرة وهذا من خلال التقاءه وتأثره بالعديد من الفلاسفة في أفكاره كالنظرة الخطية للعناية الإلهية التي استعارها من القديس أوغسطين وكذلك تقسيمه المجتمع الى مجتمعين مجتمع بدوي ومجتمع حضري وقد استقى هذه الفكرة من المفكر العربي ابن خلدون إضافة الى تأثره شبنغلر

4-قانون التحدي والاستجابة هو قانون تحول المجتمعات من الحالة البدائية المتوحشة الى الحالة الحضارية أي وفق التحول الصيني من الين الى اليانع .

5-انتقد توينبي نظرية الأجناس –النظريات العرقية- ونظرية البيئة في تفسير التاريخ والحضارة بنظرية التحدي والاستجابة التي تعتبر من أهم النظريات المعاصرة والتي استطاع من خلال هذه النظرية دراسة إحدى وعشرين حضارة ناجحة وحضارات أخرى عقيمة كما عد توينبي المجتمع والمجتمعات الوحدة الأساسية في دراسة التاريخ.

6-اعتبار توينبي مراحل نشوء الحضارات – نمو، الارتقاء، الانهيار، الاندثار- مراحل ضرورية تمر بها نظرية التحدي والاستجابة حيث أن هذه المراحل في عمقها هي عبارة عن تحديات ومواجهات لظروف ما،تعقبها استجابات قد تكون ناجحة فتؤدي الى الارتقاء واما تكون فاشلة فتؤدي للإندثار والزوال.

لكن هذه النظرية التي أسسها توينبي وقدمها بالشرح والتحليل والتي جسدت فكره حول قيام الحضارات ونشوءها وانهيارها، لم تخلو كغيرها من النظريات من الانتقادات والتي وجهت إليها من طرف المؤرخين والمفكرين مثل المؤرخة الفرنسية سيموت دي بوفوار والماركسيين الذين اتهموا أرنو لد توينبي بمجافات الروح العلمية القائمة على تفسير التاريخ تفسيرا اقتصاديا ، ولجوءه بهذا السبيل إلى الاستعانة

بالغيبيات، ذلك أن الماركسيين يعتبرون أن الأحوال الإقتصادية لأي جماعة إنسانية هي التي تحدد صورة نظامها وكل مظاهر حضاراتها فمن أجل فهم نظام أي مجتمع سواء سياسي أو ديني أو فني يجب أولا إستعاب نظامه الاقتصادي[1].

لكن على الرغم من هذه الانتقادات لمفكرنا توينبي، إلا أنه لا يمكننا أن ننكر أن له الفضل الكبير بتأسيسه لنظرية تاريخية جديدة تهتم بتاريخ البشرية ككل إضافة إلى الدراسات الحضارية التي تسمو بالنهوض والتطور.

[1]- محمد تقي الحكيم، أضواء على أطروحات توينبي في فلسفة التاريخ، durthanews,com, neus,/156366,html ، تاريخ الإطلاع يوم 2020/05/25 الساعة:21:00.

قائمة المصادر والمراجع

أولا- المصادر

I- قائمة المصادر:

أ- باللغة العربية:

- **القرآن الكريم**

01- أرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**،ج1،ترجمة فؤاد محمد شبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2006

02- أرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**،ج2،ترجمة فؤاد محمد شبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2006

03- أرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**،ج3،ترجمة فؤاد محمد شبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2006

04- أرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**،ج4،ترجمة فؤاد محمد شبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2006

05- أرنو لد توينبي، **الحضارة في الميزان**، ترجمة: أمين محمود الشريف، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1948

06- أرنو لد توينبي، **تاريخ الحضارة الهيلنية**، ترجمة رمزي جرجس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1958

07- أرنو لد توينبي، **الحرب والمدينة**، ترجمة أحمد محمود سليمان، دار النهضة العربية، القاهرة، 1964

08- أرنو لد توينبي، **تاريخ البشرية**، ترجمة ناقولة زياد، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 2004

09- أرنولد توينبي، **الفكر التاريخي عند الإغريق**، ترجمة: لمعي المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط3،القاهرة،1990

ب- باللغة الأجنبية:

01 Arnol. D Toynbee, **L'histoir**e ;Traduit de l'anglais par jacques, potine et autre, Paris, Bruxelle, Elesevier Sèquoia, 1975.

02 Arnold Toynbee, **civilization on trial**, oxford university press, London, 1956

II- الموسوعات والمعاجم :

01- أندريه لالند، **موسوعة لالند الفلسفية**، ترجمة خليل أحمد خليل، المجلد 2، منشورات عويدات، بيروت:2001

02- ابن منظور، **لسان العرب**، م2، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997

03- أحمد رضا، **متن اللغة**، ج2دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958

04- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979

05- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979

06- عبد المنعم الحنفي، **المعجم الشامل: المصطلحات الفلسفية**، مكتبة مديولي، القاهرة، مصر، ط3، 2000

07- **المعجم الفلسفي**، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007

ثانيا- المراجع:

أ- باللغة العربية

01- أحمد محمود صبحي، صفاء عبد السلام جعفر، **فلسفة الحضارة اليونانية الإسلامية الغربية**، دار النهضة العربية، بيروت، 1999

02- آمنة تشكو، **مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،د ط، 1981

03- أحمد محمود صبحي، **في فلسفة التاريخ**، مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية، د ط، 1975

04- ادريس هاني، **المفارقة والمعانقة**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2001

05- الزمخشري محمود بن عمر، **الفائق في غريب الحديث ج1**، تحقيق علمي لمحمد البحاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، د س ن.

06- الكيلاني إبراهيم زيد وآخرون، **دراسات في الفكر العربي الإسلامي**، المجلد 1، ط3، عمان، 1991

07- إسماعيل محي الدين، **منهج التأريخ وفلسفة التاريخ**، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،1986

08- إبراهيم سليمان الكروي، **المرجع في الحضارة العربية الإسلامية**، المجلد 1، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية،دط، 1999

09- بول فيين، **أزمة المعرفة التاريخية**، ترجمة إبراهيم فتحي، دار الفكر، القاهرة، باريس، ط1، 1993.

10- بدوي، عبد الرحمان، المنجلي،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،1941.

11- جمعة علم الدين اليقين، **فلسفة التاريخ عند أرنو لد توينبي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991

12- جاسم سلطان، **أداة فلسفة التاريخ**، سلسلة أدوات القادة، د ط

13- حاسم سلطان، **فلسفة التاريخ**، الفكر الاستراتيجي في فهم التاريخ، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة،ط4 2010

14- حسن إبراهيم أحمد، **صدام المصالح وحوار الحضارات**، مؤسسة علاء الدين للطباعة، دمشق،ط 1، 2004

15- حسين مؤنس، **الحضارة دراسة في أصولها وعوامل قيامها وتطورها** ، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1998

16- حسن إسماعيل، **الدلالات الحضارية في لغة المقدمة عند ابن خلدون**، بيروت، 2007

17- خوري منح، **التاريخ الحضاري عند توينبي**، دار ا لعلم للملايين، بيروت، ط1، 1960

18- رأفت الشيخ، **تفسير التاريخ**، دار الثقافة، القاهرة، د ط، 1988

19- رأفت الشيخ، **تفسير مسار التاريخ: نظريات في فلسفة التاريخ**، عين الدرابات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم،دط، 2000

20- زياد عبد الكريم النجم، **توينبي ونظرية التحدي والاستجابة، الحضارة الإسلامية أنموذجا**، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2010

21- سي سمرقل ، **بحث في التاريخ لتوينبي، مختصر الأجزاء الأولى الستة**

22- سان أوغسطين، **اعترافات القديس أوغس**طين، ترجمة فرمان اليرموس، مطبعة النهضة، القاهرة،1995

23- سان أوغسطين، **مدينة الله**، الخور أسقف يوحنا الخلو، مجلد 1، دار المشرق، بيروت،ط2، 2006

24- سهيل زكار، **التوراة**، دار كتيبة، بيروت،،2007

25- شبل فؤاد محمد، أرنولد لد توينبي، **مبتدع المنهج التاريخي الحديث**، القاهرة، 1975

26- شوقي أبو خليل، **الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة**، مجلد 1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق،ط2، 1996

27- صاموييل هنتنغتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، تر: طلعت الشايب،ط2،مصر،شركة السطور،1999م

28- عبيد إسحاق، **معرفة الماضي من هبرودوت إلى توينبي**، القاهرة،ط1، 1981

29- علاء الدين الأعرجي، **أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي بين العقل الفاعل والعقل المنفعل**، مطبوعات إي،لندن،ط5 ،2015

30- عبد الرحمن بدوي، **الزمان الوجودي**، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1973

31- عبد الرحمن الغزاوي، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية** ،عمان، الأردن، ط1، 2001

32- عبدالرحمان ابن خلدون ، **تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر**، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب العلمية ، بيروت،ط1، 1992

33- علي حسين الجابري، **فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر**، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د ط، 1993

34- علي عبود وآخرون، **فلسفة التاريخ: جدل البداية والنهاية والعود الدائم**، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان،ط1، 2012.

35- عبد الغني مغربي، **الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون**، ترجمة محمد بن الشريف، الجزائر،دط، 1986

36- عفت الشرقاوي، **في فلسفة الحضارة الإسلامية**، دار النهضة العربية، بيروت، ط 4، 1985

37- عبد الرحمن إبن خلدون ، **المقدمة** ،ج 1،دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت،ط2 ،1988

38- فروخ عمر، **العرب في حضارتهم وثقافتهم**، مجلد 1، دار العلم للملايين، ط2،د س

39- فضل الله محمد اسماعيل، عبد الرحمن خليفة، **الايديولوجية وفلسفة الحضارة**، مكتبة بستان المعرفة، الاسكندرية، ط2، 2005

40- كاسيرر أرنست،**فلسفة الحضارة الإنسانية**، ت إحسان عباس، دار الأندلس، بيروت، 1961

41- لابيكا جورج، **السياسة عند ابن خلدون**، ترجمة موسى وهبي، شوقي دويني، دار الفارابي، بيروت، 1980

42- لاكوست، ايف، ابن خلدون، ترجمة ميشال سليمان، دار ابن خلدون، بيروت، ط 3، 1983

43- مصطفى النشار، **فلاسفة أيقظوا العالم**، دار قباء للطباعة، والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1998

44- مالا شينكو الكسي، **الإسلام الثابت الحضاري في المتغيرات السياسية** ، ترجمة ممتاز بدري الشيخ، دار الحارث، دمشق، ط 1، 1999

45- محمد عابد الجابري، **قضايا في الفكر المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1997

46- مالك بن نبي، **آفاق جزائرية**، مكتبة عمار، القاهرة، د ط، 1971

47- مالك ابن نبي، **تأملات**، دار الفكر، دمشق، د ط، 2002

48- مالك بن نبي، شروط النهضة: مشكلات الحضارة، ت عبد الصبور شاهين،وآخرون، دار الفكر، دمشق ،ط4،1987

49- محمد عبد السلام الجفائري، **مشكلات الحضارة عند مالك ابن نبي**، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984

50- مصطفى النشار، **فلسفة التاريخ**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2012

51- محمود زينب الخضري، **لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين**، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1997

52- هناء غانم، **فلسفة الحضارة**، مطبعة ابن خلدون، دمشق، 1982

53- هاشم يحي الملاح، **المفصل في فلسفة التاريخ** ، دار الكتب العلمية، ط1، 2007

54- ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج1، ت زكي نجيب محمود، لجنة التأليف، ط2، ،1956

56- ول ديورانت، **قصة الحضارة: الشرق الأقصى الصين**، ج 4، م1، دار المعارف، 1988

57- ولسن كولن، **سقوط الحضارة**، ترجمة: أنيس زكي حسن، دار العلم للملايين، بيروت، 1959

58- يوسف الحوراني، **الإنسان والحضارة**، دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط

59- يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط**، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، د ط، 2012

60- نصر حامد أبو زيد نقلا من : حسن إبراهيم أحمد، **صدام المصالح وحوار الحضارات**، مؤسسة علاء الدين للطباعة، دمشق، ط1، 2004

أ- اللغة الأجنبية:

01- OSWaldspengler.thedzcline of the west.vol1.new york.AL Fred manlivi.1932

02- Paul Edzqrdsm the Encyclopedia of philosophy, v2, Macmillan publishing, Nez York, 1967

II- الرسائل والمذكرات الجامعية

أ-الرسائل وأطروحات:

01- قاسم عبد عوض المحبشي، **فلسفة التاريخ في الفكر الغربي المعاصر، أرنو لد توينبي موضوعا**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2004.

02- جمال بروال، **الدورة الحضارية بين فكر مالك بن نبي وأزفالدشبنغلر**، رسالة مقدمة لاستكمال نيل درجة الماجستير، اشراف عبد المجيد عمراني، باتنة، كلية العلوم الإنسانية،2013/2012

03- شيخاوي لخضر، **التفسير الحضاري للتاريخ عند أرنو لد توينبي**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف،المسيلة،2017/2016

04 عما توفيق أحمد بدوي، محسن سميح الخالدي، **مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم**، أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل درجة الماجستير ، جامعة النجاح الوطنية.

III- المجلات

01- حبيب رزاق، مجلة الإسلام والحضارة: **الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها**، د ط، 1979

02- خطاب صدقي عبد الله، أرنو لد توينبي، **مجلة عالم الفكر**، الكويت، المجلد5، العدد1، 1974

03- عبد العزيز الدوري، **فلسفة التاريخ**، عرض تاريخي، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الثاني.

04- علي نوح، **مقالة بعنوان العالم المعاصر في حوار أم صراع الحضارات**، مجلة المعرفة، ط1، العدد 473

05- محمد زياد كبة، **القنبلة في التاريخ**، مجلة الفيصل، السعودية، العدد100، دار الفيصل الثقافية، جويلية 1985

06- مدني صالح، **في مهب عواصف التاريخ**، مجلة الموقف الثقافي، بغداد، العدد40، 2002

07- كريمة لطيف عبد الله،: **المعارضة الفكرية لنظرية صدام الحضارات** ، مجلة جامعة ديقار،المجلد 14،ج1،كلية الإعلام، 2019

IV: المواقع الإلكترونية

1- durthanews,com, neus,/156366,html

فهرس الموضوعات

الفهرس

العنوان	الصفحة
البسملة	/
الشكر والتقدير	/
الإهداء1	/
الإهداء2	/
فهرس المحتويات	/
مقدمة	أ
الفصل الأول: التيارات الفكرية التي أثرت على توينبي وصاغت فكره.	
مدخل.....	01
المبحث الأول: تفسير أوغسطين لمسار التاريخ.....	02
أولا: دور العناية الإلهية في التاريخ.....	02
ثانيا: غاية التاريخ.....	04
ثالثا: المثل الأعلى للدولة.....	06
المبحث الثاني: نظرية الدولة عند ابن خلدون.....	08
أولا: أسباب نشوء الدولة.....	08
1-حفظ أمن المجتمع.....	09
2-العصبية.....	10
ثانيا: تقسيم المجتمع البشري.....	12
1-المجتمع البدوي.....	12
2-المجتمع الحضري.....	13
ثالثا: أجيال الدولة.....	14
1-الجيل الأول.....	14
2-الجيل الثاني.....	14
3-الجيل الثالث.....	15
رابعا: أطوار الدولة.....	15
1-الطور الأول	15
2-الطور الثاني.....	15

3-الطور الثالث.....	16
4-الطور الرابع.....	16
5-الطور الخامس.....	16
المبحث الثالث: شبنغلر وتشاؤمه من مستقبل الحضارة الغربية.....	17
أولا: مفهوم شبنغلر للمدينة.....	17
ثانيا: مفهوم شبنغلر للحضارة.....	18
ثالثا: توينبي في مواجهة شبنغلر.....	19
الفصل الثاني: نظرية التحدي والإستجابة عند أرنولد توينبي .	
المبحث الأول: مفهوم نظرية التحدي والإستجابة.....	21
المبحث الثاني: أنواع التحديات وأنواع الاستجابات.....	25
أولا: أنواع التحديات.....	25
1-التحديات الأسطورية.....	25
2-التحديات الطبيعية.....	26
أ-حافز البلاد الشاقة.	27
ب-حافز الأرض الجديدة.....	27
3-التحديات البشرية.....	28
أ-حافز الضربات.....	28
ب-حافز الضغوط.....	28
ج-حافز النقم.....	29
ثانيا: أنواع الاستجابات.....	30
1-استجابة فاشلة.....	30
2-استجابة ناجحة.....	31
أ-الصحوة	31
ب-اليقظة.....	32
ج-النهضة.....	32
د-الحضارة.....	32
المبحث الثالث: الجانب النقدي والجانب الإيجابي من النظرية.....	34
أولا: الجانب الايجابي من النظرية.....	34

1-فكرة الأبوة والنبوة.....	34
2-فكرة المدنية المقابلة.....	34
3-فكرة أوقات الاضطراب.....	35
4-فكرة الاوقات التاريخية.....	35
5-فكرة البروليتاريا الخارجية.....	36
أ-أقلية مستبدة ومسيطرة.....	36
ب-بروليتاريا مقموعة وذليلة.....	36
ج-بروليتاريا خارجية.....	36
6-فكرة الدولة العالمية والكنيسة العالمية.....	37
7-فكرة المجتمعات التي كانت متمدنة ثم بادت أو تحجرت.....	38
ثانيا: الجانب النقدي من النظرية.	39
1-نقد نظرية وحدة الحضارة.....	39
أ-وهم حب الذات.....	39
ب-وهم الشرق الراكد.....	39
ج-وهم التقدم كحركة تلتزم خطا مستقيما.....	39
2-نقد نظرية الأجناس.....	40
3-نقد نظرية البيئة الطبيعية.....	41
الفصل الثالث: مسيرة الحضارة بين التكون والانحلال.	
المبحث الأول: مفهوم الحضارة.....	44
أ-من الناحية اللغوية.....	44
ب-مفهوم الحضارة اصطلاحا.....	46
ج-مفهوم الحضارة عند توينبي.....	49
المبحث الثاني: نمو الحضارة وارتقاءها.	51
أولا: بداية الحضارات.....	51
ثانيا نمو الحضارات.....	52
المبحث الثالث: إنهيار الحضارات.....	56
أولا-إنهيار الحضارات.....	56
ثانيا-إنحلال الحضارة.....	57

المبحث الرابع: مقترحات توينبي لإنقاذ الحضارات	61
أولا: الإبتعاد عن الحرب	62
1-التقنية والتنظيم.....	62
2-الفائض في الثروة.....	62
ثانيا: العودة الى الدين.....	64
1-الإتجاه الأول.....	64
2-الإتجاه الثاني.....	64
خاتمة.	67
قائمة المراجع.....	69
الفهرس	74

ملخص

كذب العديد من المؤرخين الغربيين في البحث في فلسفة الحضارة، يعد أرنولد توينبي إحدى المؤرخين الباحثين في فلسفة الحضارة، ويجسد ذلك في تأسيسه لنظرية التحدي والإستجابة الذي استخلص من خلالها كيفية نشوء الحضارات وسقوطها، والتحديات التي تخلق الإستجابات في عملية نمو الحضارة.

وهذا ما أدى بنا إلى البحث في هذا الموضوع الفلسفي متخذين ثلاث فصول:

ففي الفصل الأول مهدنا إلى أهم التيارات الفكرية التي أثرت في توينبي وصاغت فكره أما الفصل الثاني تطرقنا فيه إلى مفهوم نظرية التحدي والإستجابة وذكرنا أنواع التحديات وأنواع الإستجابات وأهم الجوانب الإيجابية والسلبية من هذه النظرية.

أما الفصل الثالث فقد شمل مسيرة الحضارة ونظرة توينبي للحضارات، حيث قدمنا مفهوم الحضارة من الناحية اللغوية والإصطلاحية متطرقين بعد ذلك إلى مفهوم الحضارة من وجهة نظره إضافة إلى التعاقب الدوري للحضارات من لحظة بدايتها وارتقاؤها إلى غاية انهيارها وانحلالها كما حاولنا في آخر المطاف تبيان أهم المقترحات التي صاغها توينبي لإنقاذ الحضارات من التحلل والزوال.

Résumé

De nombreux historiens occidentaux ont menti en recherchant la philosophie de la civilisation, Arnold Toynbee est l'un des historiens à la recherche de la philosophie de la civilisation, et cela est incarné dans sa fondation de la théorie du défi et de la réponse à travers laquelle il a extrait comment les civilisations surgissent et tombent, et les défis qui créent des réponses dans le processus de croissance de la civilisation.

C'est ce qui nous a conduit à rechercher ce sujet philosophique, en trois chapitres:

Dans le premier chapitre, nous avons ouvert la voie aux courants intellectuels les plus importants qui ont influencé Toynbee et formulé sa pensée. Le deuxième chapitre a traité du concept de théorie des défis et des réponses et a mentionné les types de défis, les types de réponses et les aspects positifs et négatifs les plus importants de cette théorie.

Quant au troisième chapitre, il incluait la marche de la civilisation et la vision de Toynbee sur les civilisations, où nous avons présenté le concept de civilisation en termes linguistiques et idiomatiques, puis abordant le concept de civilisation de son point de vue en plus de la succession périodique des civilisations depuis le moment de leur création et de leur ascension jusqu'au point de leur effondrement et de leur dissolution. Toynbee l'a inventé pour sauver les civilisations de la décomposition et de la disparition.

Abstract :

Many Western historians have lied in researching the philosophy of civilization, Arnold Toynbee is one of the historians researching the philosophy of civilization, and this is embodied in his founding of the theory of challenge and response through which he extracted how civilizations arise and fall, and the challenges that create responses in the process of civilization growth.

This is what led us to research this philosophical topic, taking three chapters:

In the first chapter we paved the way to the most important intellectual currents that influenced Toynbee and formulated his thought. The second chapter dealt with the concept of challenge and response theory and mentioned the types of challenges, types of responses, and the most important positive and negative aspects of this theory.

As for the third chapter, it included the march of civilization and Toynbee's view of civilizations, where we presented the concept of civilization in terms of linguistic and idiomatic terms, then touching on the concept of civilization from his point of view in addition to the periodic succession of civilizations from the moment of their inception and their rise to the point of their collapse and dissolution as we tried in the end to clarify the most important proposals that Toynbee coined it to save civilizations from decay and demise.